من غريب بلاغة القرآن الكريم في الربع الأول من سورة البقرة

الدكتور

عادل احمد صابر الروينى

أستاذ البلاغة والنقد

الإهداء

إلى روح الغالية أمي – رحمها الله – نعم المربية الصابرة المجتهدة،

محبة العلم والعلماء، تلك الأم الحانية التي غرست في أولادها حب

العلم والصبر على طلبه فهذا ولدك يا أماه يحقق لك أحلامك فيه

، وها هو ذا يواصل شق طريق العلم بصبر وإصرار وعزيمة يعلمها منك

يا أغلى الناس .

ابنك عادل

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير الكائنات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، اللهم إني أعوذ بك من الزيغ والضلال وأعوذ بك من زلة القلم ..... وبعد

فهذا البحث سميته بـــ (من غريب البلاغة في القرآن الكريم) لأن كثيرا من الأسئلة المطروحة بإجاباتها كانت بلاغية وبعيداً ورودها عن ذهن القارئ وتفكيره في كثير من الأحيان ولارتباطها بالقرآن الكريم كانت التسمية ، وقد ابتدأت من أول سورة (البقرة) حتى نهاية الربع الأول منها . وقد اعتمدت على طريقة السؤال والجواب.

والكتاب جديد في منهجه ، وإن كانت له بذور في بعض كتب قدامى المفسرين وعلى رأسهم الزمخشري في كشافه ومسائل الرازي وأجوبتها لأبي بكر الرازي ، ولعل تلك البذور الراسخة المتأصلة كانت دافعا لي لإخراج كتابي في تلك الصورة ، ومن الدوافع أيضا لذلك أننا في عصر قل فيه الإقبال على القراءة والصبر على المطالعة حتى من كثير من المثقفين – للأسف الشديد – ولأن من البلاغة مراعاة مقتضى الأحوال كان من المناسب أن أخرج الكتاب على هيئة سؤال وجواب ، وفي ذلك إثارة لفكر القارئ وإيقاظ لذهنه وتنبيه وتشويق لمعرفة بعض الأسرار البلاغية من خلال طرح الأسئلة

والإجابات عنها . وفي هذا أيضا سرعة الوصول إلى السر البلاغي من خلال الجواب المباشر وفيه أيضا اختصار لوقت القارئ وجهده . ولعل كتابنا هذا يعتبر فريداً في بابه ؛ حيث إنه أول كتاب يصوغ أسئلة بلاغية ويضع إجابات في سورة واحدة . أما عن كيفية تناولي للآيات القرآنية فقد كنت أقف أمام الآية القرآنية متأملا متدبرا ، وأمعن النظر فيها عملا بقوله تعالى :" أفلا يتدبرون القرآن " محمد ٢٤ ، وهدفي أن يكون هذا ديدن المسلم عند قراءته للقرآن الكريم وأحسب أن الطريقة المثلى للوصول إلى ذلك هي مساءلة سياق الآية الكريمة ومقامها والوقوف أمام مفرداتها وجملها بل وحروفها. ولكن على الرغم من ذلك فقد تبدو بعض الأسئلة غير بلاغية أو سطحية ولكنها كانت ضرورية لكونها تمهيدا أو مدخلا لأسئلة أخرى أكثر عمقا وتخصصا لذا لا تعجب إن وجدت أسئلة عن وجه ارتباط آية قرآنية بآية أخرى سابقة أو لاحقة وأسئلة عن تنوع القراءات ووجه بلاغتها وأسئلة عن تفسير كلمة أو جملة . وقد صدرت الصفحة بعدة آيات قرآنية ثم أتبعتها بمجموعة من الأسئلة البلاغية بإجابتها.

ولقد كنت أمينا في نسبة الإجابات إلى أصحابها ، كما وافقت في مواضع كثيرة آراء المفسرين معللا لموافقتي ، كما تفردت باجتهادي وخالفتهم في مواضع أخرى مدعما اجتهادي بالدليل.

وأخيرا ..إني لأدعو الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل وأن ينفع به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. عادل أحمد صابر الرويني

سورة البقرة

قال سبحانه وتعالى:" الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " (البقرة:١-٤)

السؤال٢٠: ما المقصود بحروف الهجاء (الم) في صدر سورة البقرة؟

الجواب: معناها أن هذا القرآن المُنَزل على محمد -ﷺ- من جنس حروف كلام العرب الذين بلغوا الغاية في الفصاحة والبلاغة والبيان، ومع ذلك فإنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من مثل ذلك الكتاب المبين، لأنه كلام رب العالمين .

فالغرض تبكيت المشركين لعجزهم عن الإتيان ولو بأقل سورة من القرآن الكريم، ودفعهم إلى إعادة النظر والتأمل في ذلك الكتاب[1] .

السؤال٢١: لماذا أشير إلى الكتاب أي القرآن الكريم بأداة الإشارة للبعيد؟

الجواب: للإشارة إلى بُعد منزلته، وعلو مرتبته، لأنه كلام رب العالمين

السؤال٢٢: ما دلالة التعريف بأل في قوله (ذلك الكتاب)؟

الجواب: التعريف في (الكتاب) للجنس، وجملة (ذلك الكتاب) أفادت القصر لتعريف الطرفين اسم الإشارة (ذلك) و(الكتاب) فالقصر للمبالغة، وعليه يكون (الم) مبتدأ، و(ذلك) مبتدأ ثان، و(الكتاب) خبره، والجملة (ذلك الكتاب) خبر المبتدأ الأول . والله أعلم بمراده .

ومعنى القصر: أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل وكأن ما عداه من الكتب لا يُعتد بها لعدم كمالها وأن هذا الكتاب القرآن الكريم هو

[1] راجع التحرير والتنوير ٢١٢/١ - للطاهر بن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس .

المستحق دون سواه أن يسمى كتاباً لإعجازه وكماله، كما تقول: هو العَالِم، أي هو الجامع لصفات العلماء وجميل خصالهم، وكأنك لا ترى غيره يستحق أن ينال هذا اللقب . وهذا معنى القصر الادعائي القائم على المبالغة . والله أعلم بمراده .

السؤال٢٣: كيف قيل: "لا ريب فيه " على سبيل الاستغراق - العموم - وقد ارتاب فيه كثير من الضالين والمشركين بدليل قوله تعالى: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله " (البقرة:٢٣)

الجواب: أنه نُزِّلَ ارتياب هؤلاء الضالين المنكرين المعارضين منزلة العدم وعدم الاعتداد به، وكأنه لم يوجد أصلاً، لكونه مما لا ينبغي أن يكون لوجود ما يدل على نقضه ونفيه، لأن في دلائل كمال الكتاب المبين وإعجازه ما لو تأملوه لزال ريبهم،هذا توجيه .

ويمكن أن يكون المعنى: أنه ليس في القرآن الكريم ما يوجب الريبة في أنه من عند الله تعالى، فلا يوجد في القرآن كلام يناقض بعضه بعضاً، أو يخالف الحقيقة .

وتأويل المعنى على هذا الوجه فيه تعريض بكتب أهل الكتاب التي تعرضت للتحريف والتبديل على أيدي هؤلاء . والله أعلم بمراده .

السؤال٢٤: لماذا لم يتكفل الله تعالى بحفظ كتبه السماوية من التحريف والتبديل كما تكفل بحفظ القرآن الكريم كما قال سبحانه: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (الحجر:٩)؟

الجواب: لأن هذه الكتب أدت غرضها من الهداية والإرشاد والتشريع في زمانها، وهذا كان المقصود من إنزالها، أما القرآن فإنه كتاب خالد إلى يوم الدين، لأن الله تعالى أنزله ليكون خاتماً لكل الكتب السماوية السابقة عليه، ورسالة محمد -ﷺ- الذي أُنزل عليه ذلك الكتاب عالمية

صالحة لكل زمان ومكان، وكذلك القرآن الكريم، ولذا تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم دون بقية الكتب السماوية . والله أعلم بمراده .

السؤال٢٥: لماذا لم يقدم المسند - الجار والمجرور - في قوله تعالى: " لا ريب فيه " على غرار قوله تعالى: "لا فيها غول وهم عنها ينزفون" (الصافات:٤٧)

الجواب: لو قُدم المسند الظرف (فيه) لأفاد الاختصاص، ولدل على أن كتاباً غير القرآن فيه الريب، وهذا والله أعلم غير مراد، وقدم المسند في قوله " لا فيها غول " لأن المقصود تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا، وتخصيصها بأنها لا تسلب عقول شاربيها كما تسلبها خمور الدنيا . والله أعلم بمراده [٢].

الجواب: وُصِف الكتاب والمراد به القرآن الكريم في آية البقرة بأنه (هدى للمتقين)، للإيماء إلى فضل أمة محمد -ﷺ- فأشير بالمتقين إلى حال المخصوصين به، وقيل في وصف التوراة والإنجيل " هدى للناس "، (ليشعر بحال أهل الكتابين، وفضل أهل الكتاب العزيز عليهم) . والله أعلم [٣].

السؤال٢٨: هل الوقف على (فيه) في قوله تعالى " لا ريب فيه " أفضل؟ أم الأفضل الوقف على (لا ريب)؟

الجواب: كلا الوقفين جائز، ولكن الوقف على (فيه) هو الأشهر والأولى، لأن المعنى على هذه القراءة يكون الكتاب نفسه هُدى . والمعنى على الوقف على (لا ريب) يكون الكتاب فيه هدى، ولا شك في أن المعنى الأول أقوى وأبلغ وأكمل في الدلالة على كمال الكتاب وهدايته، ويؤيد المعنى في الوقف على (فيه) تكرر الآيات الكريمة التي

---

[٢] راجع الكشاف ١ / ١٩

[٣] ملاك التأول لأحمد بن الزبير الغرناطي ٣٢/١ ، ت د.محمود كامل أحمد طبعة دار النهضة العربية –بيروت ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م

تصف القرآن الكريم أنه نور وهدى نحو قوله تعالى: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (الإسراء:٩)

السؤال٢٩: كيف جاء ترتيب فاتحة سورة البقرة " الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " البقرة (١- ٢) غاية في البلاغة والتناسق؟

الجواب: جاءت فاتحة السورة في أربع جمل فـ (الم) بمثابة جملة في استقلالها فهي تشير إلى بعض حروف الهجاء مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة، و(لا ريب فيه) جملة، و(هدى للمتقين) جملة، وقد جاء ترتيب تلك الجمل متآخياً ومتناسقاً أتم التناسق، بيان ذلك: أنه نبَّه بالأولى على القرآن الكريم المتحدى به، وأنه من جنس حروف الذين تحداهم وهم أرباب الفصاحة وفرسان البيان، وفي الافتتاح بتلك الحروف أيضاً حذف وإيماء إلى الغرض أي تحدي العرب بالقرآن بأدق وجه وألطفه.

وجاءت الجملة الثانية " ذلك الكتاب " لتشير إلى القرآن الكريم بأنه الكتاب الكامل فكان هذا تقريراً للتحدي مع ما دل عليه تعريف الكتاب من الفخامة، وتعريف الطرفين " ذلك الكتاب " من الاختصاص بأنه هو الكتاب الكامل لا غيره من الكتب الأخرى، ثم جاءت الجملة الثالثة " لا ريب فيه " لتنفي عن الكتاب الريبة بالكلية، وهذا ما دل عليه تقديم الريب في الظرف (فيه) .

ثم أخبر عن الكتاب بأنه (هدى للمتقين) فقرر بذلك كونه حقاً بحتاً، ويقيناً مطلقاً لا يحوم الشك حوله، مع ما دل عليه إيثار التعبير بالمصدر

(هدى) على الوصف (هادٍ) وإيراده متكرراً من المبالغة والفخامة . والله أعلم [٤].

السؤال٣٠: لماذا وُصِفَ القرآن بأنه هدى للمتقين فقط والمتقون مهتدون، والمُهْتَدِي لا يُهتَدَى ؟!

الجواب: أن الله تعالى ذكر المتقين مدحاً لهم، ليبيّن أنهم هم الذين اهتدوا به وفازوا بمنافعه، حيث قبلوه واتبعوه كما قال تعالى: " إنما أنت منذر من يخشاها " (النازعات:٤٥) وقد أُرْسِل محمد صلى الله عليه وسلم منذراً لكل الناس، فخص في البقرة من اهتدى من هؤلاء الناس، ومن هم الذين انتفعوا بإنذاره صلى الله عليه وسلم أو المراد أنه ثبات لهم على الهدى وزيادة فيه، لأن الهدى باب واسع لا غاية له كالتقوى [٥]. والله أعلم.

السؤال٣١: لماذا عُدي فعل الإيمان بالباء في قوله تعالى: " والذين يؤمنون بما أنزل إليك" (البقرة:٤)؟ ولماذا جاء متعدياً باللام في أكثر من آية كريمة أخرى كما في قوله تعالى:" وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " (يوسف:١٧)، وقوله تعالى: " أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون " (المؤمنون:٤٧) ، فما العلة في اختلاف التعدية؟

الجواب: لم نجد في كلام المفسرين ما يشفي الغليل في الإجابة عن هذا السؤال، حيث ذهب الكثير منهم إلى القول بتضمين الإيمان معنى الانقياد أو الاستجابة، لذا صحت التعدية باللام، وأن الأصل تعدية الإيمان بالباء . كما أن المعاجم لا تكاد تفرق في الدلالة بين مجيء فعل الإيمان متعدياً بالباء، وبين مجيئه متعدياً باللام .

---

[٤] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسين الرازي ١/ ٣٨٣ - ط : دار الغد العربي - ط : دار الكتب العلمية - طهران - ط الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

[٥] من غرائب آي التنزيل (مسائل الرازي) لمحمد بن أبي بكر الرازي صـ ١٢ ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

وكل تلك التأويلات مصححة للمعنى، ولكنها لا ترقى إلى سماء بلاغة القرآن، لذا فإن ما تطمئن إليه نفسي هو أن في تعدية الإيمان بالباء دلالة على الثقة بالله تعالى وبما أنزله، والطمأنينة لشرعه والأنس به ودوام مصاحبته وعدم الانفكاك عن الإيمان وعن شرع الله تعالى، لمحنا هذا من الدلالة اللغوية لحرف الباء وما يشيعه من معنى الملابسة والمصاحبة والإلصاق .

ومما يلفت النظر أن الإيمان لم يجئ متعدياً بالباء إلا في الإيمان بالله ورسله وكتبه . وفي تعدية الإيمان باللام دلالة على معنى الخضوع والانقياد للمُصَدَّق فيما دعا إليه، هذا ما نلمحه من دلالة اللام على الاختصاص .

وقد جاء الإيمان متعدياً باللام في مقام التصديق من بشر لمثله، لذا لا يقال: آمن لله ، وإنما آمن بالله [٦] . والله أعلم .

السؤال٣٢: جاء فعل الإنزال متعدياً بإلي في قوله تعالى: " والذين يؤمنون بما أنزل إليك " (البقرة:٤) وجاء أيضاً متعدياً بـ (على) في مواضع أخرى منها قوله تعالى : " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب " الكهف١ ، فما السر في هذه المغايرة ؟

الجواب : جاء فعل الإنزال في القرآن الكريم متعدياً بحرف الاستعلاء (على) في سبعة وعشرين موضعاً، وبمثل تلك المواضع جاء متعدياً بحرف الانتهاء (إلى) ،هذه ملحوظة عامة .

أما السر في تعدية (أنزل) بـ (على) فإن فيه إشارة إلى التشريف ، وهذا في كل موضع كانت التعدية فيه بـ (على) ، بيان هذا أن (على) حرف استعلاء، والوحي يكون من جهة السماء من فوق، ومن خلال استقراء مواضع تعدي الإنزال بـ (على) بدت ملامح التكريم والتشريف ، وفي أكثر المواضع التي ذكر فيها إنزال القرآن الكريم على النبي -ﷺ- عدي

[٦] يراجع من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم – د. محمد الأمين الخضري – صـ ٢١٠ – ٢١٤ - ط مكتبة وهبة - ط- الأولى سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

الإنزال بـ (على)، حيث جاء حرف الاستعلاء منبئاً عن شرف المُنَزّل، وسمو منزلة مَن أُنزل عليه، ومن الآيات الكريمة التي تلمح فيها هذا التشريف من خلال تعدي فعل الإنزال بـ (على) قوله تعالى: " يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله " (البقرة:٢٣)، وقوله: " وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما " (النساء:١١٣)

أما سر تعدي الإنزال بـ (إلى) كما في آية البقرة، وغيرها من الآيات الكريمة فإنك تلمح التشديد في التبليغ والعمل المُنزل وتطبيقه والتمسك به وعدم التفريط فيه أو التخلي عنه، وهذا ما نستشفه من دلالة (إلى) على الانتهاء والوصول والنهاية . ومما جاء فيه الإنزال معدى بإلى ودالاً على هذا المعنى قوله تعالى: "إنا أنزلنا إليك الكتاب الحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما" (النساء:١٠٥)، وقوله تعالى: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" (المائدة:٦٧)، وقوله تعالى: " كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين" (الأعراف:٢) .

إننا نلحظ روح التكليف والتشديد على الرسول الكريم -ﷺ- بضرورة إبلاغ المنزل عليه وإنهائه إلى الناس في صورة واضحة لا غبش فيها ولا لبس، لأنها أمانة السماء فلا بد أن تسلم إلى أهلها في الأرض، والأمانة فيها من التشديد في الأداء ما فيها . وللقارئ الآن أن يستخلص معنا هذه النتيجة وهي: أن تعدي الإنزال بـ (على) يوحي بالتشريف، وتعديه بـ (إلى) يوحي بالتشديد في التبليغ . والله أعلم بمراده .

****

قال تعالى: " والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم، ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " . (البقرة: ٤-٨) .

السؤال٣٤: لماذا عبر بالموصول " ما " في قوله تعالى: "والذين يؤمنون بما أنزل إليك" البقرة ٤ ولم يقل مثلاً : والذين يؤمنون بك من أهل الكتاب ؟

الجواب: للدلالة من خلال صلة الموصول على أن إيمان هؤلاء كان بما ثبت نزوله من الله تعالى على رسلهم من دون تحريف أو تبديل أو خلط ، وفي هذا تعريض بغلاة أهل الكتاب الذين صدهم غلوهم في دينهم وتحريفهم لكتبهم وقولهم على الله تعالى غير الحق عن اتباع النبي -ﷺ-، والإيمان به [٧]. والله أعلم.

السؤال٣٥: لماذا خص اليقين بالذكر في قوله: "وبالآخرة هم يوقنون" (البقرة: ٤) عند الثناء على المؤمنين بالرسول -ﷺ- من أهل الكتاب من دون أوصافهم الأخرى؟

الجواب: لأن هذا الوصف – إيمانهم بالآخرة – رأس التقوى وملاك الخشية فاليقين بالآخرة هو الذي يوجب الحذر والتأمل في ما ينجي من

[٧] التحرير والتنوير ٢٣٩/١

العقاب ويحصل الثواب . وهذا الإيقان بالآخرة مما تفرد به أهل الكتاب من العرب في الجاهلية، فالمشركون كانوا لا يعتقدون في الحياة الأبدية ولا في البعث والنشور بدليل قوله تعالى: "أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد" (ق: ٣) ." أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون" (الصافات: ١٦) [٨]. والله أعلم بمراده.

السؤال٣٨ : ما علة تقديم الجار والمجرور (وبالآخرة) على الفعل في قوله تعالى : " وبالآخرة هم يوقنون " ؟

الجواب: رأى الزمخشري أن التقديم للقصر ، والمعنى أنهم يوقنون بالآخرة ؛ لأنها الأهم والأعظم ، ولا يلزم إيقانهم بما سواها .

وأحسب أن هذا قدح لإيمان أهل الكتاب المؤمنين بالنبي -ﷺ- ؛ لأن إيمانهم بناء على تأويل التقديم - الجار والمجرور - للقصر إيمان ناقص ؛ لأن بعض يقيني وبعض غير ذلك ؛ إذ ينبغي أن يكون الإيمان كله عن يقين ، وإلا فما وجه وصفهم بكونهم من المتقين ؛ لذا أرى أن تقديم أرى أن تقديم الجار والمجرور " وبالآخرة " للاهتمام بالمقدم حيث أيقنوا بأهم ما يوقن به ، ولأجل رعاية الفاصلة .

السؤال٣٩: ما موقع جملة "أولئك على هدى من ربهم"؟ البقرة ٥ ، وما فضل التعبير باسم الإشارة؟

الجواب: هذه الجملة وقعت استئنافاً بيانياً وهو ما يسميه البلاغيون (شبه كمال الاتصال) ، وكأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات مدح المتقين سأل : وما جزاء هؤلاء المتقين؟ فأجيب: "أولئك على هدى من

---

[٨] التحرير والتنوير ٢٣٩/١

ربهم" والاستئناف باسم الإشارة ابلغ من الاستئناف الذي يكون بإعادة اسم المستأنف، لأنه يتضمن جميع أوصاف المتقين السابقة، ويجعلها شاخصة ماثلة حاضرة، كما أن في التعبير باسم الإشارة إيجازاً وتركيزاً حتى لا تترهل الجملة بإعادة صفات هؤلاء المتقين . والله أعلم .

السؤال٤٠: ما سر التعبير بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: "أولئك على هدى من ربهم"؟ (البقرة:٥) . وما نوع الاستعلاء في الآية؟

الجواب: لتمثيل حال تمكنهم من الهدى ورسوخهم فيه وثباتهم عليه ورغبتهم في الزيادة منه بتشبيهها بحال راكب على دابة متمكن من قيادتها وتذليلها، وحرف الاستعلاء هو الذي دل على هذا التمكن .

والاستعلاء المشار إليه مجازي، لأن الهدى لا يستعلى حقيقة، وعلى كل ففي الجملة استعارة تمثيلية مكنية . والله أعلم .

السؤال٤٢: لماذا تكرر اسم الإشارة (أولئك) في قوله تعالى: "وأولئك هم المفلحون " بعد قوله تعالى : "أولئك على هدى من ربهم"؟ (البقرة: ٥) .

الجواب: للإشارة إلى أن كلا الوصفين (الهدى والفلاح) حري به أن يذكر مستقلا برأسه تنبيها على فضله واعتناء بذكره . (وإشارة

خاصة ليكون اشتهارهم بذلك اشتهاراً بكلتا الجملتين وأنهم ممن يقال فيه كلا القولين) [٩] .

السؤال٤٣: لماذا جاء قوله تعالى: "وأولئك هم المفلحون" البقرة ٥ موصولاً بما قبله بالواو ولم يجئ منفصلاً؟

الجواب: للتوسط بين الكمالين : كمال الاتصال وكمال الانقطاع ، كما يقول أهل البلاغة ، وبيان هذا أن مفهوم الجملتين وزمن حصولهما مختلف، فالهدى حاصل في الدنيا ، والفلاح حاصل في الآخرة، ومن هنا كانتا منقطعتين، ولكنهما متصلتان من جهة كون كل منهما مقصودة بالوصف، وتسبب مفهوم إحداهما (الهدى) عن مفهوم الأخرى (الفلاح) ، فكان التعارض بين كمالي الاتصال والانقطاع منزلاً إياهما منزلة المتوسطتين، وتلك حالة تقتضي الوصل (العطف بالواو) [١٠].

السؤال٤٦: لماذا حذف متعلق الكفر في قوله تعالى: " إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" (البقرة: ٦) . حيث لم يقل مثلا: إن الذين كفروا بالله . ."؟

الجواب: حذف متعلق الكفر، لأن القصد تعميم جحود الكافرين فكفرهم لا يقتصر على الكفر بالله بل يتعداه إلى جحود كل نعمة، وكل خير،

---

[٩] التحرير والتنوير ١/ ٢٤٦
[١٠] التحرير والتنوير ١/ ٢٤٦

وفيه زيادة تشنيع عليهم وتبشيع لكفرهم وتمهيد للحكم بعدم إيمانهم في قوله: "لا يؤمنون" .

السؤال٤٨: لم ذكر الإنذار دون البشارة في قوله تعالى "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم"البقرة ٦ ؟

الجواب: لأن تأثير الإنذار في الفعل والترك أقوى من تأثير البشارة ؛ فاشتغال الإنسان بدفع الضرر أشد من اهتمامه بجلب المصلحة . والله أعلم [١١].

السؤال٤٩: ما الغرض من (الهمزة) و(أم) في قوله تعالى: "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم " ؟ (البقرة: ٦) .

الجواب: الغرض التسوية، والمعنى: يستوي إنذارك لهم وعدم إنذارهم في عدم الانتفاع به . أو يستوي عندهم الإنذار وعدمه .

السؤال٥٠: لم عُدي "سواء"بـ "على" ولم يتعد بـ "عند" في قوله تعالى: "سواء عليهم..... " ؟ (البقرة: ٦)

الجواب: للإشارة إلى تمكن الاستواء، وهذا مدلول حرف الاستعلاء .

السؤال٥١: لماذا جاء قوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم . ." (البقرة: ٦) مفصولاً عما قبله؟

الجواب: لكمال التباين، وتمام الاختلاف بين مضمون هذه الآية والآيات قبلها، فهذه الآية خبر عن الكفار الضالين، وما قبلها خبر عن المتقين المهتدين وسرد لبعض صفاتهم .والله أعلم .

---

[١١] مفاتيح الغيب ١ / ٤١٠

السؤال٥٣: ما صلة جملة "ختم الله على قلوبهم ...." (البقرة: ٧)، بقوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون "؟ (البقرة: ٦) .

الجواب: جاء قوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم . ." بمثابة التعليل للحكم في الآية السابقة في قوله تعالى: "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون "، وبيان سببه ؛ لأن هذا الخبر يثير تساؤلاً عن سبب استواء إنذارهم وعدمه عندهم والحكم بأنهم لا يؤمنون ، فجاءت جملة " ختم الله ... " لتجيب عن هذا التساؤل ، ولتدفع التعجب من استواء الإنذار وعدمه ببيان أن الله تعالى ختم على قلوب هؤلاء الكفار وعلى أسماعهم، وأن على أبصارهم غشاوة [١٢]، والخلاصة أن قوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم" استئناف بياني، وهو ما يسميه البلاغيون شبه كمال الاتصال . والله أعلم

السؤال٥٤: هل ورد الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار على سبيل الحقيقة أم المجاز في قوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة "؟ (البقرة: ٧) .

الجواب: المراد بالختم والغشاوة في الآية الكريمة المجاز لا الحقيقة فالمقصود المعنى المعنوي لا الحسي، بيان ذلك أنه لما كانت قلوب الذين كفروا غير واعية لما وصل إليها من الإيمان والإرشاد، وأسماعهم غير مؤدية لما يطرقها من الآيات البينات إلى العقل على وجه مفهوم، أو معرضة عن سماع الآيات والنذر، وأبصارهم غير

[١٢] التحرير و لتنوير ١ / ٢٥٤

منتفعة بما ترى من دلائل قدرة الله تعالى في الكون وفي مخلوقاته ولما كانت حواسهم معطلة بتلك الصورة ولم ينتفعوا بها الانتفاع المؤدي إلى إيمانهم فقد جعلت أبصارهم وكأنها مغطاة بغطاء سميك يحجب عنها الرؤية، وذلك على طريق الاستعارة بتشبيه عدم حصول النفع المراد من تلك الحواس بالختم والغشاوة الحسيين .وإما أن يكون هذا تشبيها تمثيلياً بتشبيه هيئة بهيئة . والله أعلم[١٣] .

السؤال٥٥: بم يوحي إسناد الختم إلى الله تعالى في قوله سبحانه: "ختم الله على قلوبهم . ."؟ (البقرة: ٧)

الجواب: يوحي بتمكن معنى الختم من قلوبهم واستعلائه عليها، وأنه ختم ثابت راسخ لا يزول، ولا يرجى زواله ولا يتوقع .

السؤال٥٦: لماذا جمعت القلوب والأبصار وأفرد السمع في الآية الكريمة؟ ولماذا عبر سبحانه بالسمع ولم يعبر بالآذان؟

الجواب: جاءت القلوب والأبصار جمعاً لتنوع مدركاتها ومرئياتها، فالقلوب تتفاوت في إدراكها للمعاني وفي قدرتها على وعيها واستقبالها بمشاعر الرضا أو النفور والإعراض عنها، وكذلك الأبصار تتفاوت في إدراك المبصرات طبقاً لقدرتها على التركيز والرصد، والتقاط دقائق الأجزاء . أما السمع فقد أفرد خلافاً لمقتضى ظاهر التناسب، لوحدة المدرك، فالأسماع لا تتفاوت في إدراك الأصوات، ولهذا كان التعبير بالسمع من دون الآذان ؛ لسلامة أجهزة السمع عندهم ولكن

[١٣] راجع فتح القدير ١/ ٣٩ و التحرير والتنوير ٢٥٥/١

الفساد في إدراكها للمسموعات ، إذ لو كان الإدراك سليماً لتفتحت له القلوب .

السؤال ٥٧ : لماذا قدم الختم على القلوب وعلى الأسماع في آية البقرة في قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم "(البقرة: ٧) وعكس ذلك في قوله تعالى : " وختم على سمعه وقلبه" ؟ الجاثية ٢٣

الجواب: قدم الختم على القلوب في آية البقرة ؛ لمناسبة للمقام ؛ فالآية تقرير لعدم إيمان هؤلاء الكفار ، فناسب ذلك تقديم القلوب ؛ لأنها موطن الإيمان ، والسمع والأبصار طرق وآلات موصلة له . وقدم الختم على الأسماع في الآية الثانية ؛ لأنه مسوق لعدم المبالاة بالمواعظ والاعتبار بها ؛ لذا ختمت الآية بقوله تعالى : " أفلا تتذكرون " وكان من الملائم تقديم السمع [١٤].

ويمكن أن يقال أيضاً : قدم القلوب على السمع في البقرة ؛ لأنه – سبحانه – ذكر القلوب المريضة وقدمها في الذكر فقال : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً " البقرة ١٠ ؛ لذا قدم القلوب في آية البقرة .

وفي الجاثية قدم السمع على القلب حيث ذكر الأسماع المعطلة فقال : " ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها " الجاثية ٨ ، فقدم السمع في آية الجاثية لذلك [١٥]. والله أعلم .

السؤال٥٨ : لماذا أعيد حرف الجر (على) في الآية السابقة حيث كان من الممكن أن يقال : ختم الله على قلوبهم وسمعهم ؟

الجواب: تكرر حرف الاستعلاء (على) ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين ، وليدل على كون الأسماع مقصودة بالختم أيضاً ، فكأن الختم تكرر مرتين. والله أعلم.

---

[١٤] انظر روح المعاني ١/١٣٥

[١٥] انظر التعبير القرآني ص ٦٤ ، د . فاضل صالح السامرائي .

السؤال ٥٩: ما سر تقديم السمع على البصر في الآية الكريمة في قوله تعالى : " ختم الله على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة "؟ (البقرة: ٧)

الجواب:التقديم للإشعار بأهمية المقدم ، وذلك (لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل ، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد ، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه (تخصيص) بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى المُبْصَر) [١٦] .
والله أعلم .

السؤال٦٠ : ما الغرض من تنكير العذاب في الآية الكريمة ؟ (البقرة: ٧)

الجواب: لأن القصد إلى تنويعه وتهويله ، وأنه مجهول الكم والكيف.
والله أعلم .

***

قال تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون" . (البقرة: ٨-١١)

السؤال٦١ : من المقصود بالناس في قوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ... " البقرة٨ ؟

---

[١٦] التحرير والتنوير بتصرف يسير ص ٢٥٥

الجواب: المقصود المنافقون ، وعليه فالتعريف في (الناس) للجنس . وهم قسم ثالث مقابل للقسمين السابقين في الآيات المتقدمة ، حيث ذكر أشهر صفات المتقين والكافرين ثم المنافقين . والله أعلم.

السؤال٦٢ : لماذا جعل المنافقون قسما مستقلاً عن الكافرين وهم منهم ؟

الجواب: لأن المراد بالتقسيم إبراز أهم الصفات المميزة لكلا الفريقين ، ولأن المنافقين أشد خطراً من الكفار ؛ لذا كان حرياً بهم أن يكونوا قسماً مستقلاً عن الكفار ، وأن تفرد صفاتهم المميزة لهم ، حيث ورد في شأنهم في سياق هذه الآية ثلاث عشرة آية كريمة تفضح نفاقهم ، وتكشف خبثهم ، وتسفه أحلامهم ، وتنعي عليهم سوء مصيرهم . والله أعلم .

السؤال ٦٣: ما سر تقديم الخبر (ومن الناس) على المبتدأ (من يقول آمنا بالله ..) ؟

الجواب: للتشويق إلى ما يتم الإخبار به ، ولتنبيه السامع على عجيب ما سيذكر . والله أعلم .[١٧]

السؤال٦٤: لماذا اقتصر من أقوال المنافقين على قولهم : " آمنا بالله واليوم الآخر " البقرة (٨)على الرغم من إظهارهم الإيمان بالنبي – ﷺ – ؟

الجواب: لأن الإيمان بالله تعالى أصل الاعتقاد ، فإن انتفى انتفت سائر الاعتقادات إن وجدت ، فمن لم يؤمن بوحدانية الله تعالى لا يصل إلى الإيمان بالنبي –ﷺ– . والله أعلم .

---

[١٧] التحرير والتنوير ٢٦٠/١

السؤال٦٥: ما سر التعبير بالقول في قوله تعالى: "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر" ؟ البقرة ٨ ، ولماذا أوثر الفعل المضارع في الآية؟

الجواب: تشعر في التعبير عن كلامهم المذكور بالقول أنه قول لم يطابق اعتقاد هؤلاء الناس ، ولم يلامس شغاف قلوبهم، وإنما هو كلام سمعوه فرددوه دون إيمان به ولا اقتناع بمدلوله .. وأوثر التعبير بالمضارع لاستحضار قولهم وكأنهم يتلفظون به الآن . والله أعلم

السؤال٦٦: لماذا تكرر حرف الجر في قوله تعالى: "آمنا بالله وباليوم الآخر" البقرة ٨؟

الجواب: لأن قصدهم – المنافقون – توكيد إيمانهم وشموله المبدأ والمعاد (الآخرة)، يقصدون بذلك المبالغة في إخفاء نفاقهم وكفرهم ، والمبالغة في الخداع والتلبيس . والله أعلم .

السؤال٦٧: لماذا عُبِّر بالجملة الاسمية في نفي إيمان المنافقين في قوله تعالى " وما هم بمؤمنين " وحكي ادعاؤهم الإيمان بالجملة الفعلية " آمنا بالله وباليوم الآخر" البقرة ٨؟

الجواب: لأن القصد نفي الإيمان عنهم في الحال، وبيان هذا أنه لو قيل: وما آمنوا فإنه لا يستوجب نفي الإيمان عنهم في الحال – أي حالة قولهم هذا الكلام بادعاء الإيمان – ؛ لذا أوثر التعبير بالجملة

الاسمية وباسم الفاعل (مؤمنين)، لأن اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال – باستخدام اسم الفاعل – يستلزم انتفاءه عنهم في الماضي بالأولى .

وأوثر التعبير بالجملة الاسمية للطيفة أخرى ، وهي أن الجملة الفعلية تدل (على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل، فلذلك حكى بها كلامهم، لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا آمنا . والجملة الاسمية تدل على الاهتمام بشأن الفاعل ، أي أن القائلين آمنا لم يقع منهم إيمان). ولك أن تضيف أيضاً أن القصد من نفي الجملة الاسمية "وما هم بمؤمنين" تأكيد النفي لا نفي التأكيد .[١٨] والله أعلم .

السؤال٦٨: لم اقتصر المنافقون في ادعائهم الإيمان على الإيمان بالله واليوم الآخر مع أنهم كانوا يؤمنون بأفواههم بجميع ما جاء به النبي –ﷺ– ؟

الجواب: لأن الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر المقصود الأسمى من الإيمان، فمن يؤمن بالله تعالى حق الإيمان كما يليق بجلاله وكماله سبحانه آمن بكتبه ورسله، ومن علم أن إلى الله تعالى المصير استعد للقائه بالأعمال الصالحة . وفي الاقتصار على الإيمان بطرفيه المبدأ والمعاد [١٩]، وكأنهم يريدون أن يقولوا إذا كنا نؤمن بالمقصود الأعظم من الإيمان فمن الأولى أننا نؤمن بما يستتبعه، يريدون بهذا التعمية

---

[١٨] التحرير والتنوير ١ / ٢٦٥
[١٩] روح المعاني ١ / ١٤٤

على نفاقهم . والله أعلم .

السؤال٦٩: ورد في قوله تعالى عن المنافقين: "يخادعون الله والذين آمنوا . . ." (البقرة ٩) فكيف يخادع المنافقون الله تعالى وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ وكيف يخادعهم الله تعالى وهذا مما لا يليق بجنابه سبحانه وتعالى؟

الجواب: يحسن بنا أولاً أن نبين معنى الخدع، فالخدع أصله الإخفاء والإيهام، ويراد به: أن يحتال شخص على آخر بإيهامه خلاف ما يريد به من المكروه والضرر، ويجاب عن السؤال بأنه صُوّر صنيعهم مع الله تعالى بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وصورة صنيع الله تعالى بهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في الدرك الأسفل من النار، وصورة صنيع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله تعالى فيهم فعاملوهم كأنهم مؤمنون مثلهم، نشبه ذلك كله بالمخادعة، ففي الكلام إذن استعارة تمثيلية في الجملة كلها "يخادعون الله والذين آمنوا . . ." أو استعارة تبعية في لفظ "يخادعون" وحده [٢٠].

ويمكن أن يكون المراد أنهم يخدعون الرسول وقد فضح الله نفاقهم لرسوله والمؤمنين، وعبر عن ذلك بخداع الله تعالى للإشارة إلى مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ومقامه عند ربه، وأن الذين يخادعون النبي صلى الله عليه وسلم إنما يخادعون الله تعالى وذلك

[٢٠] انظر الكشاف ١ / و روح المعاني ١٤٦/١

على غرار قوله تعالى "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" (الفتح ١٠) وقوله تعالى: "من يطع الرسول فقد أطاع الله" (النساء ٨٠) ، فذكر لفظ الجلالة للتعظيم وللإشارة إلى أن من أراد الرسول والمؤمنين بمكر وخداع فإنما يريد به الله ، ويمكن أن يكون سمى نفاقهم خداعاً لشبه بفعل المخادع . والله تعالى أعلم [٢١].

السؤال٧٠: ما نوع القصر في قوله تعالى :" وما يخدعون إلا أنفسهم " ؟ البقرة ٩

الجواب: القصر للقلب ، فالمنافقون يقصدون خداع الذين آمنوا ، ودل القصر على أنهم لم يخدعوا إلا أنفسهم ، فالنفي ليس مرادا به كل ما عدا المنافقين ، وإنما هو موجه إلى الذين آمنوا ، ومن هنا كان القصر للقلب ؛ لأن العبارة قلبت معتقد المخاطب .

ولا يمكن أن يكون القصر قصر إفراد ؛ لأنه يقتضى أن المنافقين معتقدون أنهم يخدعون أنفسهم ويخدعون الرسول والذين آمنوا ، وهذا غير معقول .

كما لا يمكن أن يكون القصر للتعيين ؛ لأن المعنى حينئذ أن المنافقين لا يدرون أهم يخدعون الرسول -ﷺ- والمؤمنين أم يخدعون أنفسهم ؟ وهذا غير مستقيم .

---

[٢١] من غرائب آي القرآن للرازي صـ ١٢

والمعنى العام : أن ضرر نفاقهم وخداعهم مقصور عليهم لا يتخطاهم إلى غيرهم. والله أعلم .

السؤال ٧١: ما موقع جملة "وما يشعرون" بالنسبة لما قبلها؟

الجواب: جملة "وما يشعرون" إما أن تكون مستأنفة أو معطوفة على قوله "وما يخدعون إلا أنفسهم"، ويمكن أن تكون حالية أي: وما يخدعون إلا أنفسهم غير شاعرين بذلك . والله أعلم .

السؤال٧٢: لماذا حذف مفعول "يشعرون"؟

الجواب: للتعميم، أي: وما يشعرون بأي نوع من الشعور لفرط جهلهم بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم ؛ لأن الله تعالى مطلع على سرائرهم وظواهرهم . وفي هذا تهكم بهم . والله أعلم .

السؤال٧٣: ما المقصود بالشعور في قوله تعالى " وما يشعرون " ؟

الجواب: الشعور هو الإدراك بالحواس الخمس الظاهرة أو يكون بمعنى العلم، والآية الكريمة تحتمل المعنيين، فيكون نفي الشعور عن المنافقين بمعنى نفي العلم عنهم، ويحتمل أن يكون نفيه بمعنى الإدراك بالحواس الظاهرة عنهم، وهذا ما أرجحه، لأن فيه الغاية في ذمهم والسخرية منهم والتهكم بهم، لأن من لا يشعر بالبدهي المحسوس هو

أدنى مرتبة من الأنعام [٢٢]، وفي هذا دلالة أيضاً على نفي العلم عنهم، كما أن هذا التأويل جاء مناسباً لقوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة" (البقرة ٧) وفيه أيضاً تعريض بغباوتهم وبلادتهم . والله أعلم بمراده .

السؤال٧٤:هل المقصود من المرض الألم في قوله تعالى:"في قلوبهم مرض.... "؟ (البقرة ١٠)

الجواب: لا، ليس المقصود من المرض في الآية المرض العضوي الحسي بمعنى الألم، فالكلمة ليست مستعملة على سبيل الحقيقة، وإنما على سبيل المجاز، فالمراد من المرض هنا أمراض القلوب المعنوية كسوء الاعتقاد والكفر والحقد والغل والحسد والضعف والجبن، وغير ذلك من تلك الأمراض، وعليه فالكلمة استعارة تصريحية . والله أعلم .

السؤال٧٥: ما سر تقديم الخبر الجار والمجرور على المبتدأ في قوله تعالى: "في قلوبهم مرض . ."؟ (البقرة ١٠)

الجواب: للإشعار بأن المرض مختص بتلك القلوب، مبالغة في تعلق هذا الداء بتلك القلوب لما كانوا عليه من شدة الحسد وفرط العداوة . وقد أفاد التقديم القصر كما رأيت . والله أعلم .

---

[٢٢] روح المعاني ١ / ١٤٨

السؤال٧٦: ما الغرض من تنكير (مرض)؟

الجواب: التنكير للتعظيم وللإيماء إلى شدة خطورة مرض قلوبهم وسوء عاقبته . أو أن التنكير (للدلالة على أنه نوع غير ما يتعارفه الناس من الأمراض)[٢٣] . والله أعلم .

السؤال٧٧: ما دلالة التعبير بحرف الظرفية في قوله تعالى: " في قلوبهم مرض"؟

الجواب: يدل على استقرار النفاق وسوء الاعتقاد والغل والحقد والحسد في قلوبهم وتمكنها منها . والله أعلم .

السؤال٧٨: لماذا لم يجمع "مرض" كما جمعت القلوب في الآية؟

الجواب: لعله للإشارة إلى أن المرض الواحد من هذه الأمراض لخطورته ولتشعبه يملأ قلوبهم جميعاً ، وفي هذا تفظيع للنفاق أشد أمراض القلوب وأخطرها وتهويل له ، فمن النفاق وهو أشد أمراض القلوب النفسانية يتولد الكذب واللؤم والخداع والسفه .

ويمكن أن يعلل إفراد "مرض" في الآية بأن تعدد المحال (القلوب) يدل على تعدد الحال (الأمراض) فيها بداهة فاكتفى بجمعها عن جمعه . والله أعلم [٢٤].

---

[٢٣] روح المعاني ١ / ١٤٩

[٢٤] انظر روح المعاني ١ / ١٤٩

السؤال٨٠: لماذا أسندت زيادة مرض قلوب المنافقين إلى الله تعالى في قوله: "فزادهم الله مرضا . ." (البقرة ١٠)؟

الجواب: لأنه سبحانه هو الفاعل الحقيقي . وقيل: إن الإسناد مجازي، سواء فسر المرض بالكفر أو الحسد والحقد أو الضعف ، وعليه فالجملة من المجاز العقلي بعلاقة السببية .

السؤال٨٢: لماذا عُدِّيت زيادة المرض إليهم (المنافقين) لا إلى قلوبهم، حيث لم يقل مثلاً: فزادها الله مرضا ، كما يقتضيه ظاهر السياق؟

الجواب : للإشارة إلى أن مرض القلب مرض لسائر الجسم والتقدير: فزاد الله قلوبهم مرضا[٢٥] . والله أعلم .

السؤال٨٣: ما سر تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى: "ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون" ؟ (البقرة ١٠)

الجواب: للاهتمام بالمقدم، وللإشعار بأن العذاب المؤلم أعد لهم خصيصاً، وللمسارعة بذكر ما يسؤوهم . والله أعلم.

---

[٢٥] انظر روح المعاني ١ / ١٥٠

السؤال٨٤: لم وصف العذاب بأنه أليم ولم يوصف بأنه مؤلم على الحقيقة ؛ لأن الألم للمؤْلَم ؟

الجواب : جيء به على طريقة المجاز العقلي بعلاقة المصدرية – كقولهم غضب غضبه وجد وجده - ؛ للدلالة على المبالغة في شدة العذاب وإسلامه ، فالأليم ليس هو العذاب وإنما المُعذَّب ، وكأن العذاب من فرط شدته ووجعه وإيلامه صار أليماً في نفسه هو . والله أعلم .

السؤال٨٦: ما توجيه المعنى على قراءة التخفيف في " يَكْذِبون " ؟ وقراءة " يُكذِّبون" بالتشديد وهي قراءة نافع وابن كثير وغيرهما؟

الجواب: قراءة "يَكْذِبون" بالتخفيف معناها: يوقعون الكذب في ادعائهم الإيمان كما ورد فيما حكى القرآن قولهم "آمنا بالله وباليوم الآخر" وهم متلبسون بالكفر .

والمعنى على قراءة التشديد " يُكذّبون ": أنهم يبالغون في الكذب فيكذبون كذباً عظيماً بادعاء أنفسهم المصلحين دون المؤمنين، وينسبون الكذب إلى الصادق، وذلك أشنع الكذب .

السؤال٨٨: كيف عبر عن كذب المنافقين بالماضي كما تدل عليه " كان" ثم عبر بالفعل المضارع "يكذبون"، وذلك في قوله تعالى "بما كانوا يكذبون"؟ فكيف تفسر هذا الإشكال؟

الجواب: لا تعارض ولا إشكال، لأن من معاني " كان " الاستمرار

والدوام في جميع الأزمنة كما في قوله تعالى: "وكان الله غفوراً رحيماً" . والمعنى هنا بسبب كذبهم المستمر الذي لا ينقطع، فلا إشكال إذن ولا تعارض أيضاً في الجمع بين الماضي والمضارع، حيث دلت "كان" على تحقيق انتساب الكذب إلى المنافقين في الماضي وثبوته، والفعل المضارع "يكذبون" دل على انتسابه إليهم في الحال والاستقبال . وهذا توجيه ثان، فاختر منهما ما يطمئن إليه قلبك . والله أعلم .

السؤال٨٩: لم رُتّب العذاب على الكذب دون النفاق في قوله تعالى: "ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون" ؟ (البقرة ١٠)

الجواب: لحض المؤمنين على الاستمرار والثبات في صدقهم وتصديقهم بما جاء به النبي -ﷺ- ، وللتنفير من الكذب والزجر عنه[٢٦]. والله أعلم

السؤال٩٠: علام عطف قوله تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون" ؟ (البقرة ١١)

الجواب: الأظهر عندي – والله أعلم – أن الجملة معطوفة على قوله "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر.." (البقرة ٨) وذلك من باب تعديد قبائحهم في ادعائهم الإيمان وكذبهم فيه، ثم بيان حالهم في

[٢٦] انظر روح المعاني ١ /١٥١

انهماكهم في باطلهم ورؤية القبيح حسناً والفساد صلاحاً [٢٧]. والله أعلم

السؤال ٩٢: ما علة بناء الفعل (قال) للمجهول في الآية ؟

الجواب: للإشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائنا من كان [٢٨]. والله أعلم .

السؤال ٩٣: لماذا أوثر التعبير بالقصر في حكاية قول المنافقين " إنما نحن مصلحون " ؟ البقرة ١١ ولماذا أوثر القصر بإنما ؟

الجواب: رد المنافقون قول من يستنكر فسادهم بما حكاه القرآن الكريم عنهم : " قالوا إنما نحن مصلحون " فاستخدموا في ردهم على دعوة أهل الإيمان ونصحهم له أسلوب القصر وهو أعلى أساليب التوكيد وأقواها ، ولم يقولوا : إننا مصلحون ، ولم يلتفتوا إلى الاعتقاد الجازم فيهم بأنهم مفسدون ولم يعبؤوا بما سمعوه ، وإنما ذهبوا في شططهم إلى غايته فقصروا أنفسهم على الإصلاح ، وعدوا كل ما يفعلونه إصلاحاً وليس إفساداً ، فقالوا : " إنما نحن مصلحون " أي مقصورون على الإصلاح ليس لنا وصف سواه ، ونحن لا ندعي أمراً منكراً ولا مجهولاً ، بل إن صلاحنا أمر ظاهر واضح ، وحقيقة معلومة شائعة يتناقلها الناس ، كل هذا الشعور بالصلف والغرور ، وهذا الكذب والضلال والتشويه للحقائق أفاضت به (إنما) في ردهم على نصيحة أهل الخير لهم . ولك الآن أن تعرف بدقة أكثر سر إيثار (إنما) في

---

[٢٧] انظر البحر المحيط ١ / ١١٩
[٢٨] نظم الدرر ١/ ٤٤

جوابهم ، فـــ (إنما) تدخل في الأمر المعلوم الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكره ، أو للأمر الذي ينزل هذه المنزلة ، وإليك ما قاله عبد القاهر الجرجاني في نهاية حديثه عن (إنما) : (ومما يجب أن تجعله على ذكر منك من معاني (إنما) ما عرفتك أولا من أنها قد تدخل في الشيء على أن يخيل فيه المتكلم أنه معلوم ، ويدعي أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع...) [٢٩]. والله أعلم.

السؤال ٩٤: ما سر ذكر محل إفساد المنافقين في قوله : " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ..... " البقرة ١١

الجواب: لبيان عموم فسادهم ولتفظيعه بأنه يتناول الأرض، وأنها موطن فسادهم يشيعون الشر في ربوعها ، ويثيرون الحروب فيها ، وأن وقوع الفساد في رقعة منها تشويه لمجموعها [٣٠] . والله أعلم .

السؤال٩٥: ما نوع القصر في قوله تعالى حكاية عن المنافقين "إنما نحن مصلحون" ؟ (البقرة: ١١) .

الجواب: القصر من باب قصر الموصوف على الصفة، كما أنه ليس حقيقياً بل ادعائياً قائماً على المبالغة . وهو إما قصر إفراد أو قلب حسب اعتقاد المخاطب . والله أعلم .

---

[٢٩] أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٢٦ - تحقيق هريتزر - طبعة مكتبة المتنبي - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

[٣٠] التحرير والتنوير ١ / ٢٨٥ ، وانظر زهرة التفاسير ١ / ٨٥ (تراجع) .

السؤال٩٦: لماذا أوثر التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: "إنما نحن مصلحون"؟ (البقرة: ١١) .

الجواب: ليدل على أن المنافقين جعلوا اتصافهم بالصلاح أمراً راسخاً مؤكداً وثابتاً دائماً . والله أعلم .

***

قال تعالى: " ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون" . (البقرة: ١٢-١٤) .

السؤال٩٧: ما الذي حشده القرآن الكريم من وسائل التوكيد لنقض دعوى المنافقين في قصر أنفسهم على الصلاح في قوله تعالى: "ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون"؟ (البقرة: ١٢) .

الجواب: جاء الرد القرآني لنقض ادعائهم الصلاح مؤكدا على أبلغ وجه ؛ حيث جاء على سبيل الاستئناف لزيادة تمكن الحكم في ذهن السامع، واستفتح الاستئناف بـ (ألا) وهي أداة لا يستفتح بها إلا الكلام المهم ذو الشأن . و(ألا) صوت للتنبيه ولإيقاظ انتباه السامع، وكأنها ناقوس يشعر بأهمية السياق، واستخدم أسلوب القصر لنفي دعواهم ولإثبات الفساد لهم وقصره عليهم قصر قلب، أي هم مقصورون على الفساد لا نصيب لهم في الإصلاح .

واستفيد هذا القصر من تعريف المسند (الخبر) بلام الجنس ، فأفاد قصر المسند إليه (المبتدأ) - ضمير المنافقين - على المسند الخبر (الإفساد) ، وجيء بضمير الفصل (هو) وهو دال على القصر أيضاً ليؤكد القصر ، وكأنه قصر فوق قصر .

وأوجز ما استخدمه البيان القرآني من مؤكدات لنسف دعوى المنافقين بالإصلاح لأنفسهم فيما يلي:

أولاً: أداة التنبيه (ألا) .

ثانياً: التأكيد بإن .

ثالثاً: التأكيد باسمية الجملة .

رابعاً: التأكيد بأسلوب القصر المستفاد من تعريف الخبر (المفسدون) بأل .

خامساً: التأكيد بضمير الفصل "هو" الدال مع الخبر بعده على القصر أيضاً . والله أعلم .

السؤال٩٩: لم بني الفعل "قال" للمجهول في الآية ولم يذكر فاعله؟

الجواب: لأن المراد بيان موقفهم الرافض لدعوة الإيمان على العموم أياً كان هذا الداعي، فهذا هو موقفهم الثابت الدائم، سواء دعاهم الرسول - ﷺ- أم دعاهم غيره، وسواء أكانت الدعوة في زمنه صلى الله عليه وسلم أم بعد زمنه إلى قيام الساعة . والله أعلم .

السؤال١٠٠: لماذا بني الفعل للمعلوم ولم يحذف الفاعل في قوله تعالى حكاية عن المنافقين: "قالوا أنؤمن . ." كما حذف في قوله: "وإذا قيل لهم . ." ببناء الفعل للمجهول؟

الجواب: بني الفعل "قال" هنا للمعلوم - على حسب الأصل - وحذف الفاعل لاعتبارين:

الأول: أن "قال" فاعله معروف، وله ذكر في الآيات السابقة "إن الذين كفروا ..." (البقرة: ٦) .

الثاني: أن المقام مقام تسجيل ورصد للجرائم التي ارتكبها هؤلاء المنافقون، فذكر الفاعل لإلصاق جريمتهم بهم، ومواجهتهم بها [٣١]. والله أعلم.

السؤال١٠١: ما سر استخدام أداة الشرط (إذا) في قوله " وإذا قيل لهم . . "؟

الجواب: للدلالة على جزمهم إبطان الكفر، والمعنى: أنهم على حال تقتضي أنهم لو قيل لهم آمنوا قالوا كذا "أي أنؤمن كما آمن السفهاء" .

إذن أوثرت "إذا" على "إن" للدلالة على تحقق قولهم المذكور، إذا دعوا إلى الإيمان. والله أعلم .

السؤال١٠٣: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: "أنؤمن كما آمن السفهاء"؟ (البقرة: ١٣) .

الجواب: الاستفهام للإنكار المشوب بالسخرية والتعجب، وهذا كان رد المنافقين على الدعوة المخلصة لهم بالإيمان الحق الصادق . والله أعلم .

السؤال١٠٦: جواب المنافقين على المؤمنين في الآية الكريمة كفر بواح، وهذا يلزم أن يكونوا مظهرين للكفر إذا لقوا المؤمنين، فأين النفاق وهو المفهوم من السياق؟

الجواب: جوابهم المذكور (كان فيما بينهم، وحكاه الله تعالى عنهم، ورده عليهم . وليس الجوابما يقال مواجهة فقط) [٣٢]. والله أعلم .

---

[٣١] انظر التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم ١ / ٣٧ ، ٣٨ د. عبد العظيم المطعني

[٣٢] روح المعاني ١/ ١٥٥

السؤال١٠٧: بم أكد سبحانه وتعالى الحكم على المنافقين بأنهم سفهاء في قوله: "ألا إنهم هم السفهاء"؟

الجواب: أكد سبحانه الحكم عليهم بالسفه في رده سبحانه على اتهامهم المؤمنين بالسفه بعدة مؤكدات هي:

- حرف الاستفتاح "ألا" وهو حرف تنبيه وإثارة لذهن السامع .

- حرف التوكيد "إن" في "إنهم" .

- اسمية الجملة "إنهم هم المفسدون" .

- ضمير الفصل "هم" .

- تعريف الطرفين المسند إليه المبتدأ ـ الضمير- في "إنهم" - والمسند الخبر "السفهاء" فأفاد هذا القصر، حيث قصر السفه على المنافقين وحدهم دون المؤمنين . والقصر كما هو واضح للقلب . ومن المعلوم أن القصر من أعلى طرق التوكيد وأقواها . والله أعلم .

السؤال١٠٨: لم ختمت الآية بقوله تعالى: "لا يعلمون" وختمت سابقتها بقوله سبحانه "لا يشعرون"؟

الجواب: ختمت الآية هنا بـ "لا يعلمون"، لأنه قد ذكر السفه وهو خفة عقل وطيش وجهل، فكان من الملائم ذكر العلم منفياً معه ليكون طباقا له، ولأن الإيمان يحتاج لتحصيله إلى فكر وتأمل ونظر واستدلال حتى يكتسب الباحث عن الإيمان المعرفة[٣٣]، ولما لم يقع منهم المأمور به وهو الإيمان فناسب ذلك نفي العلم عنهم .

---

[٣٣] تفسير النسفي ١ / ١٣

وختمت الآية هناك بـ "لا يشعرون"، لأن المثبت هناك للمنافقين هو الإفساد، وهذا ما يدرك وتظهر آثاره بأدنى تأمل، ودون عناء فكر، (فنفى عنهم ما يدرك بالمشاعر مبالغة في تجهيلهم)[٣٤] . والله أعلم.

السؤال١٠٩: ما سر حذف مفعول "يعلمون"؟

الجواب: لتعميم جهلهم مبالغة في نفي العلم عنهم وكأنهم لا يعلمون أي نوع من أنواع العلوم . ولأمر آخر هو المحافظة على نسق الفاصلة قبلها وبعدها لانتهائها بالواو والنون أو الياء والنون . والله أعلم .

السؤال١١٠: ما سر التعبير بالجملة الفعلية في قوله تعالى: "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا"؟ والتعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: "وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم . ."؟ (البقرة: ١٤) .

الجواب: حكي خطابهم للذين آمنوا بالجملة الفعلية الخالية من المؤكدات، مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك، لأن المؤمنين يشكّون في إيمانهم. ولقد حاول المنافقون إتقان نفاقهم من خلال التعبير بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث الخالية من التأكيد "آمنا" لأنهم أرادوا إثبات دعوى إيمانهم دون نظر لإنكار المؤمنين وشكهم في إيمانهم إيهاماً منهم أنهم بمنأى عن التشكيك، وأنهم في مرتبة إيمانهم لا ينبغي أن يتطرق الشك إليها، لذا فهم - كما يزعمون - ليسوا في حاجة للتأكيد على إيمانهم فهذا أمر مفروغ منه وظاهر - كما يتوهمون - ؛ لذا لم يستخدموا إلا الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والخالية من المؤكدات .

وتلحظ في خطابهم للمؤمنين تجاهلهم التام لشكهم فيهم من خلال عدم تأكيد خبرهم لهم بالإيمان . ويمكن أن يضاف وجه آخر لتعليل مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وهو أنه انتفى عن تلك المخاطبة ما يقتضي تأكيد الخبر، لأن غرض المنافقين مجرد إثبات إيمانهم لا تأكيده، لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من همة الإيمان وصدقه ما

---

[٣٤] روح المعاني ١ / ١٥٦

يدفعهم إلى التأكيد، ولأنهم علموا أن تلك المؤكدات مهما تزاحمت في تعبيرهم لن تقلع الريبة في إيمانهم من قلوب المؤمنين الصادقين . إذن لم يهتموا بالتأكيد لعدم اعتنائهم بتحقيقه، ولعلمهم أن تأكيدهم لن يجدي نفعاً لعدم رواجه عند المؤمنين .

أما مخاطبة المنافقين شياطينهم وهم رؤوس الكفر منهم بالجملة الاسمية المؤكدة والمفيدة للثبات، فلعل الداعي إليه أنه كان دفعاً لما قد يتسرب إلى قلوب كبرائهم من شك في بقائهم على الكفر نتيجة مخالطتهم المؤمنين ومخاطبتهم بالإيمان، فاحتاجوا إلى التأكيد لإزالة بذور الشك من قلوب كبرائهم، واندفعوا لتأكيد بقائهم على الكفر، ولدفع تهمة الإيمان عنهم باسمية الجملة، وبإن، وبأسلوب القصر في قولهم "إنما نحن مستهزئون" .

وهكذا رأيت سعيهم في مخاطبتهم لأقرانهم في الكفر إلى التأكيد بصدق رغبة ووفور همة لاعتقادهم فيه الكفر - ولمطابقته لدواخلهم ، ولعلمهم أن هذا التأكيد بالبقاء على الكفر منهم ، مصدقون فيه من أشياعهم وكبرائهم [٣٥]. والله أعلم.

السؤال١١١: لم عدي الفعل "خلا" إلى مفعوله بـ "إلى" في قوله تعالى: "وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا . . "؟ (البقرة: ١٤) .

الجواب: عدي الفعل "خلا" بحرف الانتهاء "إلى" في الآية الكريمة، للدلالة على وفور همة المنافقين وسعيهم ونشاطهم للقاء شياطينهم، فلقاؤهم بهم غايتهم ومقصدهم الذي خرجوا من أجله، يؤكد هذا التعبير القرآني عن لقائهم بالمؤمنين "وإذا لقوا الذين آمنوا . ." فهو لقاء عابر، لم يسعوا إليه، ولم يقصدوه بل ولم يرغبوا فيه .

ولو عدي الفعل بحرف الإلصاق "الباء" فقيل: خلوا بشياطينهم ، لما أفاد غير الانفراد بهم - وهذا المعنى اكتسب من معنى المصاحبة، وهو من معاني الباء ـ ولفات الغرض منها الكشف عن سعيهم للقاء إخوانهم من

---

[٣٥] راجع الكشاف ١ / ١٨٥

الكفار، والكشف عن الرباط الروحي والعقدي الذي يربطهم بهم [٣٦]. والله أعلم .

السؤال١١٣: ما علاقة جملة "إنما نحن مستهزئون" بما قبلها ؟(البقرة: ١٤)

الجواب: هذه الجملة إما أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً لوقوعها جواباً عن سؤال مقدر، وكأن شياطينهم اعترضوا عليهم حين قالوا: إنا معكم، فقالوا لهم: إن كنتم صادقين في تأكيدكم لنا أنكم باقون على ملتنا فلم توافقون المسلمين؟ فجاء جواب المنافقين: "إنما نحن مستهزئون" .

وإما أن تكون الجملة تقريراً لجملة "إنا معكم" وتوكيداً لها، فهي في موقع بدل الاشتمال، لأن المستخف بالشيء المحقر له منكر له، فمن حقر الإسلام فقد عظم الكفر . والله أعلم .

السؤال١١٤: ما نوع القصر في قوله تعالى: "إنما نحن مستهزئون"؟ (البقرة: ١٤)

الجواب: القصر للقلب، حيث قلبوا الظن الذي قد يعتري قلوب أربابهم في الكفر بأنهم مؤمنون، وأكدوا قصر أنفسهم على الاستهزاء بالإسلام وأهله . وهنا كناية عن كفرهم.

السؤال ١١٥: لماذا أوثر القصر بـ (إنما) في قولهم - كما حكاه القرآن - " إنما نحن مستهزئون " ؟ (البقرة: ١٤)

الجواب: لأن (إنما) تدخل على الخبر لا يجهله المخاطب ولا ينكره ، فكأنهم يقولون لأربابهم : كيف ترتابون في ثباتنا على الكفر ومصاحبتكم

---

[٣٦] من أسرار حروف الجر د / الخضري ص ٢٨٣ ، ٢٨٤
المفردات للراغب مادة خلا . وينتقل ما قاله الأخفش في معاني القرآن ١ /٤٦

فيه وأمر استهزائنا بالإسلام وأتباعه شائع ظاهر لا ينكره أحد . والله أعلم .

****

قال الله تعالى: " الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون .أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" . (البقرة: ١٥-١٧)

السؤال١١٦: كيف قال سبحانه : "الله يستهزئ بهم" (البقرة: ١٥) والاستهزاء من باب السخرية وهو قبيح، والله تعالى منزه عن ذلك؟

الجواب: سمى الله تعالى جزاء استهزائهم استهزاء، أي سمى العقوبة باسم الذنب، وذلك من باب المشاكلة كقوله تعالى "وجزاء سيئة سيئة مثلها" (الشورى: ٤٠)، وقوله تعالى "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (البقرة: ١٩٤)، ومن قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى انتصاره جهلاً، والجهل لا يفتخر به عاقل، وإنما قاله مشاكلة لقوله (يجهلن)، والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداء،

لأنه حق، والمعنى في الآية الكريمة هنا أن الله سبحانه ينزل العقاب وينتقم من المنافقين المستهزئين بالمؤمنين، انتصافاً منه لعباده الموحدين المؤمنين .

ويمكن أن يكون المراد باستهزائه تعالى بهم إنزال الهوان والحقارة بهؤلاء المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الكفر وازدراء شأنهم وتحقير أمرهم على وجه من شأنه أن من اطلع عليه يتعجب منه ويضحك والاستهزاء منه سبحانه بناء على هذا التأويل – على حقيقته ولا استحالة في وقوع ذلك منه عز وجل . والله أعلم بمراده [٣٧].

السؤال١١٧: ما علة فصل جملة "الله يستهزئ بهم . ." عما قبلها؟

الجواب: جاءت الجملة مفصولة عما قبلها للاستئناف البياني حيث وقعت جواباً عن سؤال تقديره: ما مصير هؤلاء المنافقين الذين استهزؤوا بالمؤمنين الموحدين؟ فقيل جواباً عن هذا السؤال المقدر "الله يستهزئ بهم" . ولقد جاء هذا الاستئناف غاية في الفخامة والجزالة لأن فيه دلالة بالغة على أمرين أولهما : أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم أي بهؤلاء المنافقين المستهزئين بعباده المؤمنين، والاستهزاء الأكمل الذي لا اعتداد معه باستهزائهم وذلك لصدوره عن القاهر– سبحانه– لما يحل بساحتهم من العذاب، وينزل بهم من الذل والهوان والنكال .

---

[٣٧] راجع الكشاف ١ / ١٨٦ ، ١٨٧ ، وروح المعاني ١ /١٥٨

وثانيهما: أن في الاستئناف دلالة على غيرة الله سبحانه على عباده المؤمنين، وأنه سبحانه هو الذي يتولى الدفاع عنهم ويتكفل بالرد على المنافقين، وهو الذي يكفي عباده مؤونة الرد على المستهزئين بما يليق بجلاله سبحانه وتعالى [٣٨].

وفي العبارة إدماج بديع أيضاً حيث أدمج في الرد على المنافقين ما يشير إلى كرامة المؤمنين عند ربهم . والله أعلم .

ويمكن أن يضاف توجيه ثان لبيان سر فصل قوله تعالى : " الله يستهزئ بهم " عما قبله ألا وهو عدم الاشتراك في الحكم ، بيان ذلك : أن قبله قوله تعالى : " وإذا لقوا الذين آ منوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون "البقرة (١٤) فلو عطف قوله : " الله يستهزئ بهم " على " إنا معكم " لكان من مقول المنافقين . ولم يعطف على " قالوا " لئلا يشاركه الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله : " وإذا خلوا إلى شياطينهم " – المراد باختصاصه بالظرف أنه قيد فيه لكونه شرطا له ، والشرط قيد في الجواب – فإن استهزاء الله تعالى بهم – بالمعنى الذي يليق بجلاله سبحانه – متصل لا ينقطع بكل حال سواء خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم ، وللعلة نفسها كان الفصل في قوله تعالى : " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون .ألا إنهم هم المفسدون " البقرة ١١ ،١٢ ، وقوله

[٣٨] انظر الكشاف ١ / ١٨٧ وحاشية السيد على الكشاف الصفحة نفسها .

تعالى : "وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون " البقرة ١٣ ، حيث فصل قوله " ألا إنهم هم المفسدون " عما قبله ، وكذلك قوله :" ألا إنهم هم السفهاء ..." للإشارة إلى أنهم مفسدون في جميع الأحوال سواء قيل لهم : لا تفسدوا أم لا ، وسفهاء في جميع الأوقات سواء قيل لهم : آمنوا أم لا . والله أعلم بمراده ٣٩.

السؤال١١٨: لماذا لم يقل: الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم: "إنما نحن مستهزئون"؟ البقرة١٥

– الجواب: السر في العدول عن الاسمية (مستهزئ) إلى الفعلية (يستهزئ) وهو الدلالة على تجدد الاستهزاء بهم وقتاً بعد وقت، وحيناً بعد حين، وهذا أشد عليهم وأوجع لقلوبهم، وأرهب في صدورهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد من الجملة الاسمية، (لما هو محسوس من أن العقوبة الحادثة وقتاً بعد وقت، والمتجددة حيناً بعد حين أشد على من وقعت عليه من العذاب الدائم المستمر، لأنه يألفه ويوطن نفسه عليه) [٤٠]. والله أعلم بمراده

السؤال١١٩: ما سر تقديم المسند إليه– لفظ الجلالة– على خبره الفعلي (يستهزئ) في قوله سبحانه "الله يستهزئ بهم " ؟ البقرة ١٥

---

[٣٩] راجع الإيضاح للخطيب القروينى .٣ / ١٧ (تراجع) .
[٤٠] فتح القدير للشوكاني ١ / ٤٤ ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان

– الجواب: للمسارعة ببعث الطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين، والوعيد للمشركين، وأنه سبحانه هو الذي سينتصر لعباده الموحدين وينتقم لهم من المنافقين المستهزئين. وقد أفاد هذا التقديم القصر كما دل عليه المعنى المشار إليه . والله أعلم بمراده .

السؤال١٢٠: لم صرح بالمستهزَأ به في الآية هنا– وهو الضمير في بهم في قوله "الله يستهزئ بهم" ولم يصرح به في قول المنافقين فيما حكاه القرآن "إنما نحن مستهزئون" حيث لم يقولوا: مستهزئون بهم؟

– الجواب: صرح بالمستهزَأ به هنا ليكون الاستهزاء بهم نصاً لا يقبل الشك أو التأويل، ولم يصرح به هناك، لخوف المنافقين من وصوله للمؤمنين، فأبقوا اللفظ عاماً محتملاً غير منصوص على ما مستهزأ به معين، ليكون لهم مجال في الإنكار والمراوغة والخداع، وهذا يدل على جبنهم وضعفهم . والله أعلم بمراده .

السؤال١٢٣: ما سر إضافة الطغيان إلى ضمير المنافقين في قوله: "ويمدهم في طغيانهم يعمهون"؟ البقرة ١٥

– الجواب: أضيف الطغيان إليهم، لأنه فعلهم الصادر عنهم، أو للإشارة إلى أن طغيان غيرهم في جنبهم كأنه لا شيء، لفظاعة طغيانهم وتجاوزه كل حد، ولغرابته حتى بات ينسب إليهم، ويعرف

بإضافته إليهم، وكأنهم اختصوا به، لذا لم يقل: ويمدهم في الطغيان . والله أعلم بمراده [٤١].

السؤال١٢٥: كيف قيل في المنافقين "اشتروا الضلالة بالهدى" البقرة ١٦ وهم ما كانوا على هدى بل كانوا منغمسين في الضلالة؟

– الجواب: لأنهم لما عاينوا دلائل الهدى، وشاهدوا الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة التي تدفع إلى إيثار الهدى جُعِلوا كأنهم كانوا عليه ثم تركوه واستبدلوا به الضلالة . والله أعلم

السؤال ١٢٨: الموصول (الذين) بمعنى المعرف بلام الجنس ، فماذا أفاد في قوله تعالى : ":" أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى" ؟ البقرة١٦

الجواب :أفاد هذا التركيب " الذين اشتروا " القصر ، حيث قصر المسند على المسند إليه وهو قصر إدعائي (لإضافي) للإيماء إلى أن هؤلاء المنافقين بلغوا الغاية في اجتراء الضلالة والحرص عليها ، وفي البعد عن الهدى ؛ لجمعهم أرذل الأوصاف من الفر والسفه والخداع والإفساد والاستهزاء بالمؤمنين والتي توصلهم إلى الغاية في الضلال .[٤٢] والله أعلم .

---

[٤١] روح المعاني ١/ ١٦٠ و التحرير والتنوير ١/ ٢٩٧

[٤٢] انظر التحرير والتنوير ٢٩٩/١.

السؤال١٢٩: ما دلالة الفاء في قوله تعالى: " فما ربحت تجارتهم " ؟ البقرة١٦

– الجواب: الفاء في الآية للتعقيب، وجيء بها للإشارة إلى سرعة عدم ربحهم في تجارتهم وعدم اهتدائهم، وأن هذا تحقق بمجرد اشترائهم الضلالة بالهدى، حيث جاء عقبه مباشرة دلالة على سوء صنيعهم، وبوار سعيهم، وفداحة خسارتهم . والله أعلم .

السؤال١٣٠: كيف أسند عدم الربح إلى التجارة،في قوله تعالى:" فما ربحت تجارتهم " البقرة١٦ وعدم الرابحين هم أصحابها؟

– الجواب: جاء هذا على طريقة المجاز العقلي بعلاقة السببية، لأن الأصل أن يقال: فما ربحوا في تجارتهم،ولكن عُدل عن هذا إلى المجاز مبالغة في إيصاد باب النفاق في وجوههم، وأنه لن يصل بهم إلى أي خير . والله أعلم

السؤال١٣١: لماذا لم يصرح بالتعبير عن خسارة المنافقين فيقال مثلاً: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فخسروا؟

– الجواب: استخدمت الكناية في التعبير عن خسرانهم، وأوثرت على التعبير المباشر الحقيقي، لأن فوات الربح يستلزم الخسارة، هذه واحدة، وللتصريح بانتفاء الهدف من التجارة والمقصد منها مع حصول ضده وهو الخسارة . ولو قيل: خسرت تجارتهم، فلا يتوهم (إن نفي أحد

الضدين- الربح والخسارة ــ، إنما يوجب إثبات الآخر إذا لم يكن بينهما واسطة وهي موجودة هنا، فإن التاجر قد لا يربح ولا يخسر) . وهذا كلام الألوسي فتأمله[٤٣] . والله أعلم

السؤال١٣٢: ما سر التعبير بـــ(كانوا) في قوله تعالى: "وما كانوا مهتدين" البقرة١٦ حيث كان من الممكن أن يقال: وما اهتدوا ؟

الجواب: للدلالة على عراقتهم في الضلالة وفي البعد عن الهداية وأن تلك الصفة متأصلة فيهم قديمة راسخة ثابتة، بدلالة (كان) الدالة على الدوام والاستمرار . وهذا أنسب للتقريع والتوبيخ، فليس من كانت هذه الحالة حاله أن يهتدي أبداً، لأن الشر قد استمكن من نفسه فأظلمت وغلفت بالضلالة حتى إنه لا مكان لنور يُبدد ظلمتها . والله أعلم .

السؤال١٣٣: ما علة الجمع في قوله تعالى : " وما كانوا مهتدين " وعطفه على قوله "فما ربحت تجارتهم"، على الرغم من أن عدم الاهتداء قد فُهم من استبدال الضلالة بالهدى؟ أوليس هذا تكراراً للمعنى السابق؟

*الجواب: ليس هذا تكراراً، بل المراد الإشارة إلى أنهم خسروا رأس المال والربح معاً في تجارتهم الفاشلة، بيان هذا أن رأس مالهم هو الهدى، فلما استبدلوا به الضلال انتفى رأس المال بالكلية، وحين لم يبق

---

[٤٣] روح المعاني ١ /١٦٢

في أيديهم إلا الضلالة وُصفوا بانتفاء الربح والخسارة؛لأن الضال في دينه خاسر، وإن أصاب أموال الدنيا، ولأن من لم يسلم له رأس ماله وهو الهدى لم يوصف بالربح، بل بانتفائه أي الخسارة، إذن أضاعوا سلامة رأس مالهم بالاستبدال، وترتب على ذلك إضاعة الربح . وليس معنى قوله "وما كانوا مهتدين" عدم اهتدائهم في الدين فيكون تكراراً لما سبق، بل لما وُصفوا بالخسارة في هذه التجارة أشير إلى عدم اهتدائهم لطرق التجارة كما يهتدي إليها التجار البصراء بالأمور التي يربحون فيها ويخسرون . والله أعلم بمراده .

****

قال تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير" . (البقرة:١٧-٢٠)

السؤال١٣٥: ورد مثلان لتشبيه حالة المنافقين في التذبذب والحيرة والضياع، الأول في قوله سبحانه: "مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً . ." (البقرة١٧) .

والثاني في قوله سبحانه: "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . . ." (البقرة: ١٩)، فأي المثلين أبين في الكشف عن حالة المنافقين النفسية؟

– الجواب: أجاب الزمخشري عن هذا السؤال فقال:(. . الثاني، لأنه دلّ على فرط الحيرة، وشدة الأمر وفظاعته، ولذلك أخّر، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ) .[٤٤]

وإذا أردنا أن نوازن بين التشبيهين فإننا نلحظ أن الحيرة في التشبيه الأول تركز على الظلمة التي تجعل القوم يحرصون على الضوء فيستوقدون ناراً، والحيرة في التشبيه الثاني في ظلمة أيضاً، ولكن لم تكن وحدها تشكل الصورة، بل انضاف إليها المطر المنهمر بكثافة وغزارة، والرعد الشديد الذي يكاد يصم الآذان، والبرق الذي يخطف الأبصار . إذن فالظلمة في التشبيه الأول هي محور الصورة، وتكاد تكون وحدها، أما الظلمة في التشبيه الثاني فليست هي التي تشكل الصورة وحدها كما بينا . كما أن التمثيل الأول اعتمد على حاسة واحدة وهي البصر بخلاف التمثيل الثاني الذي اعتمد على حاستي

[٤٤] الكشاف ٢١٣/١.

البصر والسمع، وهذا كله يدلل على أن الموقف في التشبيه الثاني أكثر رعباً وهولاً وفزعاً لإضافة تلك العناصر الجديدة على الظلمة من صيب ورعد وبرق كما بينا مما جعل الظلمة مهولة تحمل في جوفها أسباب الهلاك لهؤلاء القوم الضالين الذين لا يحول بينهم وبينها إلا مشيئة الله تعالى التي شاءت استمرارهم أحياء كاملي الحواس ليعانوا هول الموقف بحس يقظ سليم .

ومما يلمح في المثل الثاني أيضاً أن عناصر الصورة فيه وهي الصيب وما تبعه من رعد وبرق وظلمة ولم تكن خالصة في باب الهول والحيرة فقط، وإنما هي أشياء لها وجهان: وجه للخير والحياة، ووجه للإبادة والإهلاك، فالسحاب ومطره رحمة ونعمة وخير يسوق الله تعالى إلى الأرض الميتة فتحيا وتثمر، وهذا وجه الخير، وقد يكون هذا المطر دماراً وعذاباً وعقاباً، كما قال سبحانه: "فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم" (الاحقاف- ٢٤) فاختيار الصيب في المثل الثاني له مغزى لأنه شابه الشريعة من هذه الجهة، فهو إما حياة ونماء، وإما أن يكون دماراً وفناء .

القوم الحائرون التائهون في ظلمة باطلهم في هذا المثل إنما تصعقهم الأهوال وهم في وادي الحياة والماء الغامر، لأنهم ضلوا وجه النفع فيه، فالمنافق اشترى الضلالة بالهدى والكفر بالإيمان والحيرة باليقين،

فسبيل الفوز والنجاة يتراءى أمامه، والهدى بين يديه، إلا أنه أبى الالتفات إليه، وكأنه حائر تائه وسبيل الرشد تحت بصره !! [٤٥] . والله أعلى وأعلم بمراده.

السؤال١٣٩: علام تدل زيادة السين والتاء في (استوقد) ؟

الجواب : تدل على الإلحاح في طلب النار والكد المضني في سبيل تحصيلها ، ووراء هذا قوة الدافع من الخوف والرعب والهلع والهول من الظلمة . إنه يريد أن يبدد ظلمة نفسه ، ويدفيء صقيع قلبه . والله أعلم .

السؤال١٤٠ : علام يدل التنكير في (ناراً) ؟

الجواب : يدل على أن غاية أمل الطالب لها أن تكون قليلة تنير إنارة ما يتبين بها طريقه ويتحسسه . والله أعلم .

السؤال ١٤١: ماذا أفاد التعبير بـــ (لما) في قوله تعالى : "فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم " ؟ البقرة١٧

الجواب : دلت على المباغتة والمفاجأة والسرعة ، فالنور ذهب به فور وجوده ولم ينتفع به هذا الكادّ في طلبه ، فالأمل ما إن بدأ في التحقق إلا وتلاشى وقد ابتلعته ظلمة اليأس ، وذهب كأن لم يكن . والله أعلم .

السؤال١٤٢: ما السر في إسناد ذهاب النور إلى الله تعالى في قوله: " ذهب الله بنورهم " ؟ البقرة١٧

---

[٤٥] راجع التصوير البياني د. محمد أبو موسى ٨٨، ٨٩

الجواب : للإشارة إلى أن النور لم يبق منه شيء ألبتة ، وكأن يد القدرة الإلهية امتدت إلى هذا النور وذهبت به . وفيه معنى آخر (هو أنهم بلغوا من السوء وفساد النفس مبلغاً أغضب الرحمن الرحيم ، فهم محاصرون في ظلمتهم هذه بالقدرة الآخذة بخناقهم ؛ نظراً لسوء نفوسهم ، فهم يعانون ظلمة الوجود من حولهم ، وظلمة قلوبهم التي استحقت أن يذهب الله بنورها) [٤٦]. والله اعلم .

السؤال١٤٣: لم أضيف النور إلى ضمير المنافقين فقيل : (بنورهم) ؟

الجواب : النور في الحقيقة للنار ،ولكن لما كانوا ينتفعون به صح إضافته إليهم . فالإضافة إذن لأدنى ملابسة [٤٧] . والله أعلم .

السؤال١٤٤: لماذا عدي الفعل (ذهب) بالباء، ولم يتعد بالهمزة فيقال: أذهبه الله؟

الجواب: (للإشعار بأن الله تعالى كان معهم بمعونته وتوفيقه عندما استوقدوا النار فأضاءت، وذلك أنهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها، معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها، وبأنه تخلى عنهم عندما نكبوا عن تلك السبيل وعافوا ذلك المورد السلسبيل) [٤٨]. والله أعلم .

---

[٤٦] التصوير البياني د/ محمد محمد أبو موسى ص ٨٥ / ٨٦

[٤٧] روح المعاني ١ / ١٦٧

[٤٨] تفسير القرآن الحكيم ١/ ١٧١ محمد رشيد رضا دار لمعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .

السؤال١٤٥: لماذا قال (ذهب بنورهم) ولم يقل: ذهب بضوئهم؟

الجواب: لأن المراد بيان أنه سبحانه استأصل هذا النور، وأزاله تماماً، وبدده بحيث لم يبق منه شيء ألبتة وأنهم صاروا في "ظلمات لا يبصرون"، ولو قيل: بضوئهم، لما دل على هذا المعنى، لأن الضوء فرط الإنارة، ففيه نور وزيادة، فلو عبر به لربما فُهم أنه سبحانه قد ذهب بهذا القدر الزائد، وبقي أصل النور، وليس ذلك بمراد . والله أعلم . وقيل: اختار النور على النار، لأنه أعظم منافعها، والمناسب للسياق السابق واللاحق . والله أعلم

السؤال١٤٦: علام يدل التعبير بالترك في قوله تعالى " تركهم " ؟

الجواب : يوحي بالإهمال والازدراء . والله أعلم .

السؤال١٤٧: لماذا عدل عن الإفراد في "فلما أضاءت ما حوله" إلى الجمع في قوله "وتركهم في ظلمات لا يبصرون"، حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات لا يبصر؟

الجواب: أقوى الآراء هي أن المراد تشبيه قصة المستوقد وهي مفردة بقصة المنافقين، فالمنافقون إذاً لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه العدول عن المفرد إلى الجمع [٤٩]. والله أعلم .

السؤال١٤٨: ما سر إفراد النور وجمع الظلمات في قوله تعالى "ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" ؟ البقرة ١٧

الجواب: إفراد (النور) يومئ إلى شعاع الفطرة الذي يومض ثم يتلاشى سريعاً من قلوبهم نتيجة لتكاثف ظلمات الباطل، فهم في ظلمة فوق ظلمة ، وهذا هو سر جمع الظلمات . والله أعلم

السؤال١٤٩: ما فائدة ذكر جملة "لا يبصرون" بعد قوله "في ظلمات"؟

الجواب: لتأكيد معنى كثافة الظلمات وتراكبها، وأنها حاجبة جداً، فليست كالظلمة التي تستطيع أن ترى فيها العين شيئاً من الأشياء كالأجسام اللامعة مثلاً، وإنما هي ظلمة مطبقة، وكأنها سلبت قوة الإبصار، فهم في ظلمة، وهم لا يبصرون، فتضاعف معنى الظلام والضلال، وذهاب الإدراك . فهناك ظلمة في النفس، وظلمة في

[٤٩] راجع مفاتيح الغيب ١ / ٤٥٥

الكون، وظلمة في حدقة العين، وناهيك عما وراء ذلك من فقد التمييز بين الخير والشر، والضلالة والهدى [٥٠] . والله أعلم .

السؤال ١٥٠: ما سر تنكير الظلمات وعدم مجيئها معرفة؟

الجواب: الغرض هو النوعية، فالظلمات التي فيها المنافقون لكثرتها وتراكبها كأنها ظلمات من نوعية خاصة غير متعارف عليها . والله أعلم .

السؤال ١٥١: هل المقصود نفي الإدراكات عن حواس المنافقين جملة في قوله تعالى : "صم بكم عمي فهم لا يرجعون"؟ البقرة١٨

الجواب: لا، ليس الغرض نفي الإدراكات عن حواسهم حقيقة وجملة، بل إن المقصود نفيها من جهة ما، قال الشاعر:

وعوراء الكلام صممتُ عنها *** ولو أني أشاء بها سميع

وقول الدارمي:

أعمى إذا ما جارتي خرجت *** حتى تواري جارتي الخدر

وأصم عما كان بينهمـــــــا *** أذني وما في سمعها وقر

فالمقصود إذن عدم قبولهم الحق وإعراضهم عنه، وعدم تأملهم في مخلوقات الله تعالى وآياته الكونية، فهم وإن كانوا من ذوي السمع

---

[٥٠] التصوير البياني د. محمد أبو موسى صـ٨٦ـ

والبصر والفصاحة إلا أنهم لما لم ينتفعوا بتلك الحواس ولم يتوصلوا بها إلى الإيمان بالله ورسوله فقد شبهوا بمن فقد الإدراك بتلك الحواس حقيقة . هذا وإن كان ظاهر المراد في هذه الآية الكريمة أن المنافقين متصفون بالصمم والبكم والعمى حقيقة، لكنه ورد في موضع آخر بيان المقصد الحقيقي من وصفهم بالصمم والبكم والعمى ألا وهو عدم انتفاعهم بتلك الحواس وذلك في قوله سبحانه "وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله" (الأحقاف ٢٦) . فقد سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق، وأبوا أن ينطقوا به بألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم، ولذا لم يغن عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا قلوبهم لإعراضهم عن الحق وجحودهم به ، وعلى كل فالصفات المذكورة استعارات تصريحية . والله أعلم

السؤال١٥٢: هل قوله "صم بكم عمي" البقرة ١٨ من قبيل الاستعارة أم من قبيل التشبيه البليغ؟ ولماذا؟

الجواب: الآية من قبيل التشبيه البليغ، لأن التقدير "هم صم بكي عمي" . والمقدر كالمذكور، وعليه فطرفا التشبيه مذكوران، المشبه مذكور تقديراً، والمشبه به مذكور نصاً، ولا يمكن حمل الآية على الاستعارة، لأنه يشترط فيها حذف أحد طرفي التشبيه . والله أعلم .

السؤال١٥٣: لم ختمت الآية بقوله تعالى "فهم لا يرجعون" وختم قوله تعالى "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون" (البقرة ١٧١) بـــ "لا يعقلون" على الرغم من اتحاد الأوصاف الواردة في الآيتين؟

الجواب: في الآية الأولى مثل حال المنافقين بحال مستوقد النار طلباً للإضاءة، وأنه لما أضاءت ما حوله أذهبها الله وطفئت، فلم يكن له ما يستضيء به ويرجع إليه، فنفى عنهم وجود ما يرجعون إليه من ضياء يرفع حيرتهم، لذا كان من الملائم ختم الآية بما ختمت به . أما في الآية الثانية فإنه مثل حال الكافرين بحال الغنم في كونها يصاح بها وتنادى فلا تفهم عن راعيها، ولا تسمع إلا صوتاً لا تعقل معناه، ولا تفهم المقصود منه، كذلك حال الكفار في تلقيهم دعوة رسلهم لهم بالإيمان فلا يجيبونهم ولا يعقلون ما يراد بهم، لذا كان من الملائم أن تختم الآية بقوله "لا يعقلون" [٥١] . والله أعلم بمراده.

السؤال١٥٤: ما سر ترتيب الصفات كما وردت في قوله تعالى:" صم بكم عمي" ؟ البقرة١٨

الجواب: رتبت تلك الصفات على وفق حال الممثل له أي المنافقين ؛ لأن المنافق يسمع أولاً دعوة الحق فينتفع بها ولا ينتفع ثم

[٥١] راجع ملاك التأويل ٣٥/١ للغرناطي – تحقيق د.محمود كامل أحمد – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

يجيب عما سمعه فيعترف بالإيمان ويقر به أو لا يعترف ثم يتأمل ويبصر فيقر بآيات الله وقدرته وبما جاء به الرسول أو لا يقر[٥٢] . والله أعلم بمراده .

السؤال١٥٥: ما دلالة الفاء في قوله "فهم لا يرجعون"؟ البقرة ١٨

الجواب: الفاء للدلالة على أن اتصاف المنافقين بما تقدم من صفات سبب لتحيرهم ولعدم إقلاعهم عن الكفر .

السؤال١٥٧: لِمَ أعيد حرف التشبيه (الكاف) في (صيب) في قوله: " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين " ؟ (البقرة ١٩)

- الجواب: تكرير حرف التشبيه مع حرف العطف أغنى عن إعادة العامل حيث التقدير: "أو مثلهم كصيب ... " . والله أعلم .وفي التكرار أيضا إشارة إلى اختلاف الحالين المشبهين في المثلين الأول والثاني . والله أعلم .

[٥٢] راجع روح المعاني ١ / ١٦٩

السؤال١٥٨: ورد المثل في قوله تعالى "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين" (البقرة ١٩) فما فائدة ذكر هذا المثل للمنافقين بعد ذكر المثل الأول؟

الجواب: لزيادة الإيضاح والتفصيل، ولخطورة الدور الذي كان يقوم به المنافقون لإيذاء المسلمين، ومدى ما كانوا يسببونه من قلاقل واضطرابات، لذا كانت زيادة الإيضاح بضرب الأمثال لهذه الطائفة وتكرارها لتكشف عن طبيعتهم ونفسياتهم فيزيدها جلاء وإيضاحا . والله أعلم .

السؤال١٥٩: ما المقصود من التشبيه التمثيلي في قوله تعالى:" "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين" (البقرة ١٩) ؟

الجواب: المقصود بيان حال المنافقين وما يعتري نفوسهم من ضلال وقلق وحيرة وتيه واضطراب وجهل بالدين بتشبيههم بحال من أحاط بهم مطر غزير فيه من تكاثفه وتراكبه ظلمات تحجب الرؤية، وفيه أضواء وأصداء رعد وبرق يبعثان الهول وينشران المخاوف حتى يكاد القوم يعاينون الموت بأعينهم ويسمعون حسيسه المفزع فيجعلون أصابعهم في آذانهم حتى يبعدوا عن أسماعهم هذا الهول المطبق الذي لا يحتمل . ومع أن البرق ليس كالبرق المعتاد الذي يراه الإنسان

ويستطيع أن يحدق فيه، فقد كانوا ينتهزون فرصة لمعه ليخطوا خطوة من محيط الرعب الجاثم على أرواحهم . هذا القلق المفزوع، وتلك الحالة النفسية المتردية والمترددة والمضطربة وهذا التخبط والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين، وعودتهم للشياطين، بين ما يقولونه لحظة ويتراجعون عنه فجأة، بين ما يطلبونه من هدى ونور، وما يفيؤون إليه من ضلال وجهل وظلام، كل هذا صور في مشهد حسي مفعم بالحركة والتوتر والاضطراب . وهذا فضل التشبيه الذي نقل المعنويات إلى المحسوسات حتى لكأنها تدرك . وواضح أن التشبيه هنا من باب تشبيه المعنوي بالحسي، والتشبيه مركب الوجه والطرفين ، والله أعلم .

السؤال١٦١: الصيب ــ المطر ــ لا يكون إلا من جهة السماء، فما فائدة ذكرها؟

الجواب: لزيادة شخوص صورة الصيب المطر ومثولها في الخيال، كقوله تعالى "فخر عليهم السقف من فوقهم" (النحل ٢٦) وخرور السقف لا يكون إلا من أعلى، وكذلك قوله "ويقولون بأفواههم" (آل عمران ١٦٧) والقول لا يكون إلا بالفم، فأمثال هذه القيود تفيد زيادة بيان المعنى، وتصويره وتربيته في القلب، وتجسده في الخيال . وهذا هو الجواب الأول [٥٣]. أما الجواب الثاني أن في ذكر "السماء" دلالة

[٥٣] التصوير البياني ٨٧ د. محمد أبو موسى .

على أن الصيب عام مطبق آخذ بآفاق السماء ينزل من جميع جوانبها، وهذا أدل على شدته وغزارته وهوله، ولو قيل: كصيب فيه ظلمات لاحتمل أن يكون ذلك الصيب نازلاً من بعض جوانب السماء دون بعض، وهذا والله أعلم، غير مراد؛ لأنه لا يدل على كثافة المطر وغزارته[٥٤] . والله أعلم بمراده

السؤال١٦٢: في قوله تعالى : "كصيب" مبالغات من جهات مختلفة فما هي؟

الجواب: في كلمة "صيب" عدة مبالغات من جهة التركيب والبناء، أما من جهة التركيب أي الحروف، فإن الصاد من الحروف المستعلية، والياء مشددة، والباء من الحروف الشديدة، وفي هذا محاكاة لمعنى الشدة المقصود . ومن جهة البناء فإن الكلمة على وزن "فيعل"، وهي من الصيغ الدالة على الثبوت، وفيها إشارة إلى دوام استمرار هطول ذلك الصيب المصاحب بالرعد والبرق مدة طويلة . وأما من جهة التنكير فقد أفاد التعظيم والتهويل، وفيه دلالة على غزارة المطر وكثرة الهول المصاحب له وعظمته [٥٥] . والله أعلم.

---

[٥٤] راجع مفاتيح الغيب ١ / ٤٦٠ .
[٥٥] راجع حاشية السيد علي الكشاف ١ / ٢١٤

السؤال١٦٣: ما نوع "ال" في قوله "السماء"؟ ولماذا جاءت السماء معرفة؟

الجواب: "ال" للاستغراق، بمعنى جميع جوانب السماء، وجاءت "السماء" معرفة لتفيد العموم، ولو جاءت نكرة لجاز أن يكون الصيب من بعض جوانبها دون بعض، وهذا ينافي المبالغة في كلمة "صيب" .

السؤال١٦٥: ما سر جمع الظلمات في الآية؟

– الجواب: للدلالة على تكاثف الظلمات وشدتها، فهي: "وإن كانت في الأصل ظلمة واحدة لكنها لشدتها استعيرت لها صيغة الجمع مبالغة" . وبناء عليه فقد استعيرت كثرة الظلمات بجمعها للدلالة على شدتها، والله أعلم ٥٦.

السؤال١٦٦: ما سر إفراد الرعد والبرق بعد جمع الظلمات في قوله تعالى: "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . ." حيث كان مقام المبالغة في تصوير شدة ما أصاب القوم من الهلع والفزع يقتضي جمعهما بعد جمع الظلمات؟

– الجواب: لعل السر –والله أعلم– في إفراد الرعد والبرق بعد جمع الظلمات أن المراد الإشارة إلى شدة الظلمات وتكاثفها ولو جمعت

---

٥٦ روح المعاني ١ / ١٩٧

الرعود والبروق لكان من ضوئهما ما يقلل من شدة الظلمات وتكاثفها، وهذا غير مراد. والله أعلم بمراده .

السؤال١٦٧: ما فائدة ذكر الرعد والبرق في هيئة المشبه به؟

– الجواب: أولاً أشير إلى أن الرعد والبرق الواقعين في صورة المشبه به قد بلغا منتهى قوة جنسيهما بحيث لا يمنع قصف الرعد من إتلاف أسماع سامعيه، ولا يمنع وميض البرق من إتلاف أبصار ناظريه إلا مشيئة الله وعدم وقوع ذلك لحكمة، وفائدة ذكر هذا المعنى في حالة المشبه به الإشارة إلى نظيره في حالة المشبه: أي المنافقين، فهم على وشك انعدام الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم انعداماً تاماً من كثرة عنادهم وإعراضهم عن الحق، إلا أن الله سبحانه لم يشأ ذلك استدراجاً لهم وإمهالاً وإملاء ليزدادوا طغياناً وعناداً حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، أو تلوا ما لهم وإعذاراً لعل منهم من يرتدع فيثوب إلى رشده ويؤمن[٥٧]. والله أعلم

السؤال١٦٨: ما نوع المجاز في قوله تعالى "يجعلون أصابعهم في آذانهم"؟ وما وجه بلاغته؟ البقرة ١٩

الجواب: في الآية مجاز مرسل بعلاقة الكلية، حيث أطلق الكل(الأصابع) وأراد الجزء(الأنامل) والأطراف؛ لأنها هي التي

[٥٧] راجع التحرير والتنوير ٣٢٢/١ ، ٣٢٣

تجعل في الآذان، وذلك مبالغة في حرص هؤلاء القوم على سد أسماعهم من الصواعق لشدة ما يجدونه من الهول، فأصوات الصواعق تصم آذانهم من كل جانب، لذا فهم يحرصون على محاولة وضع الأصابع بتمامها في آذانهم، لعلها تخفف عنهم سماع تلك الأصوات المخيفة المرعبة المصاحبة لتلك الظلمات المتراكبة، ولذلك الصيب المتتابع، ويدل على استماتتهم في تلك المحاولة التعبير بالفعل المضارع "يجعلون" ليفيد الاستمرار التجددي ،ولكن لا فائدة من ذلك في دفع المخاطر والإحساس بها . وفي المجاز المرسل في هذا الموضع أيضاً إشارة إلى أن هؤلاء المنافقين من فرط الهول كأنهم فقدوا عقولهم وتمييزهم فحاولوا وضع الأصابع بتمامها في الآذان، (وهذا يكشف عمن يكون في مثل هذه الحال من تخبط وطيش وعدم تركيز)[٥٨] . وقرينة المجاز عقلية وهي استحالة وضع الأصابع كاملة في المسامع. والله أعلم .

السؤال١٦٩: لماذا قيل:"يجعلون أصابعهم في آذانهم" ولم يقل: "يدخلون أصابعهم.. .؟"

– الجواب: لأن جعل الشيء في الشيء أدل على إحاطة الثاني بالأول وشموله من إدخاله فيه [٥٩] . والله أعلم .

---

[٥٨] راجع التصوير البياني ٨٧

[٥٩] راجع روح المعاني ١ / ١٧٣

السؤال١٧٠: ما نوع (من) في قوله: "من الصواعق"؟

– الجواب: (من) هنا للسببية، لأن الصواعق هي علة جعل الأصابع في الآذان . والله أعلم

السؤال١٧١: ما صلة قوله: "حذر الموت" بما قبله؟

– الجواب: هو علة لما قبله، لأن إدخالهم أصابعهم في آذانهم علته أنهم يحذرون الموت . كما أن قوله: "حذر الموت" غاية أيضاً . وفي هذا إيجاز بديع .

السؤال١٧٢: ما نوع الواو في قوله: "والله محيط بالكافرين" ؟البقرة١٩

– الجواب: الواو اعتراضية، والجملة معترضة بين قوله: "حذر الموت" وقوله: "يكاد البرق" فهي إذن جملة اعتراضية بين جملتين من قصة واحدة، وفيها تنبيه على وعيدهم وتهديدهم . والله أعلم .

السؤال١٧٣: ما نوع المجاز في قوله تعالى: "والله محيط بالكافرين"؟ البقرة١٩

– الجواب: استعارة تبعية، حيث شبهت القدرة الإلهية المطلقة التي لا يفوتها شيء بإحاطة المحيط بالمحاط بحيث لا يفوته، ولا يتفلت منه . والله أعلم

السؤال١٧٤: لم وضع الاسم الظاهر – الكافرين – موضع الضمير في قوله تعالى: "والله محيط بالكافرين" حيث كان ظاهر السياق أن يقال: يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت والله محيط بهم؟ .

– الجواب: للإشارة إلى أن سبب هلاكهم واستحقاقهم ذلك العذاب هو كفرهم . فالإهلاك عن سخط(أشد وأبلغ، وفيه تنبيه على أن ما صنعوه من سد الآذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئا، وقد أحاط بهم الهلاك، ولا يدفع الحذر القدر) [٦٠]. والله أعلم بمراده.

السؤال١٧٥: ما سر التعبير باسم الفاعل (الكافرين) وإيثاره على الفعلية: الذين كفروا؟

– الجواب: للدلالة على رسوخهم في الكفر وثباتهم فيه . والله أعلم

السؤال١٧٦: هل المقصود من الخبر في قوله تعالى: "والله محيط بالكافرين" فائدته أم لازم فائدته؟

– الجواب: المقصود لازم فائدة الخبر، وهو أن الله تعالى لا يهمل المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الكفر والظلم– وأنه سينتقم منهم أشد انتقام بما قدمت أيديهم والله أعلم .

---

[٦٠] روح المعاني ١ / ١٧٥

السؤال١٧٧: لماذا فصلت جملة "يكاد البرق يخطف أبصارهم" عما قبلها؟

الجواب: للاستئناف البياني، حيث وقعت جواباً عن سؤال تقديره: كيف حالهم مع تلك الأمطار الشديدة المصحوبة بالبرق؟ فقيل: يكاد يخطف أبصارهم . والله أعلم

السؤال١٧٨: علام يدل التعبير بالمضارع (يخطف) في قوله تعالى: "يكاد البرق يخطف أبصارهم"؟ البقرة ٢٠

– الجواب: "يدل على الحال المناسب للمقاربة في (يكاد) حتى كأن الخطف لشدة قربه وقع [٦١] .

السؤال١٧٩: لم أسند الخطف إلى البرق؟

– الجواب: الخطف معناه: الأخذ بسرعة، وإسناده إلى البرق من باب المجاز العقلي، لأنه سبب في أخذ الأبصار، والله أعلم .

السؤال١٨٠: لماذا أسند الإظلام إلى البرق؟

– الجواب: لأنه سبب فيه، والتقدير: "وإذا أظلم عليهم البرق الطريق باختفائه عنهم" . وجاء هذا على طريق المجاز العقلي بعلاقة السببية . والله أعلم .

---

[٦١] روح المعاني ١ / ١٧٥

السؤال١٨١: كيف قيل: "كلما أضاء لهم مشوا فيه" (البقرة:٢٠) والمشي لا يكون في البرق وإنما في محله وموضع إشراق ضوئه؟

– الجواب: الفعل (أضاء) يستخدم لازماً ومتعدياً، ويمكن أن يكون هنا متعدياً، ومفعوله محذوف، والتقدير: كلما أضاء لهم طريقاً أو ممشى مشوا فيه . وبهذا تستقيم العبارة في الآية الكريمة، والله أعلم بمراده .

السؤال١٨٢ : بم يوحي التعبير بكلمة (كلما) في قوله تعالى : " كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا" ؟ (البقرة: ٢٠)

الجواب : يوحي بشدة حرصهم ورغبتهم في الإفلات من أسباب الهلاك ، وتكرار محاولتهم للنجاة من ذلك الموقف العصيب ، والله أعلم بمراده.

السؤال١٨٣: ما سر ذكر (كلما) في جانب الإضاءة، و(إذا) الظرفية في جانب الإظلام في قوله تعالى: " كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا" (البقرة: ٢٠)

– الجواب: للدلالة على شدة حرصهم على المشي، وأنهم يترصدون الإضاءة، فلا يضيعون لحظة من لحظات حصولها إلا واغتنموها ليتبينوا الطريق في سيرهم لشدة الظلام وتكاثفه [٦٢].

السؤال١٨٤: في الآية الكريمة ومن خلال المثل المذكور للمنافقين إشارة إلى تحينهم فرصة لمعان البرق للهروب من الهول المطبق عليهم، فلم قيل –إذن – "مشوا فيه" ولم يقل مثلاً "جَرَوا فيه" أو "سعوا فيه" لمناسبته لمقام محاولة الإفلات مما فيه القوم الممثل بهم التشبيه؟

– الجواب: السر في إيثار الفعل (مشى) على (سعى) أو (جرى) هو الإشارة إلى خور قواهم لفرط دهشتهم وهلعهم، لذا فهم لا يقدرون على سرعة الهروب من فم الموت كلما سنحت لهم الفرصة وإن كانوا يتمنون ذلك، ولكن تثاقلت أرجلهم على حملهم مما هم فيه ولم تسعفهم للجري السريع اغتناماً للمعان البرق ليتبينوا ممشاهم والله أعلم بمراده .

---

[٦٢] راجع التحرير والتنوير ١ / ٣٢١

السؤال١٨٥: علام يدل حذف مفعول (أضاء) في الآية الكريمة؟

الجواب: يدل على فرط تخبطهم، وشدة تحيرهم لدرجة أنهم يمشون بغير هدى كل ممشى، وأنهم يخبطون خبط عشواء . والله أعلم .

السؤال١٨٦: لِمَ قيل: "وإذا أظلم عليهم قاموا" (البقرة: ٢٠) ولم يقل : وإذا أظلم عليهم وقفوا؟

- الجواب: في كلمة (قاموا) دلالة على التهيؤ والاستعداد للوثب والحركة حين تحين فرصتها، وهذا رشحها لأن تكون ألصق بالسياق من كلمة (وقف)، لأن في الوقوف جموداً وسكوناً، بخلاف (قام) فإنها مع دلالتها على القيام تدل أيضاً على حركة داخلية تتأهب وتتحين، ولهذا يقولون: "قامت الحرب على ساقها" ولا يقولون: "وقفت على ساقها"، ويقولون أيضاً: "قام عليه" أي حفظه ورعاه، ولا يقولون: "وقف عليه" ليفيدوا هذا المعنى . وتلك الفروق الخفية بين الكلمات المتشابهة باب جليل من أبواب فهم اللغة وبلاغتها نبه إليه رجال من سلفنا الصالح[٦٣] . والله أعلم .

-

[٦٣] التصوير البياني د. محمد أبو موسى صـ ٨٧-٨٨

السؤال١٨٧: علام يعود الضمير في قوله تعالى: "بسمعهم وأبصارهم"؟ البقرة٢٠

– الجواب: يعود إلى المشتبه به وهم أصحاب الصيب المشبه بحالهم حال المنافقين بدليل قوله سبحانه "يكاد البرق يخطف أبصارهم" وقوله: يجعلون أصابعهم في آذانهم، فالإخبار بمضمون الجملتين يناسب القوم المشبه بهم" .والله أعلم .

السؤال١٨٨: علاَم يدل امتناع مشيئة الله سبحانه إذهاب أسماعهم وأبصارهم في قوله: "ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم" (البقرة: ٢٠)؟

– الجواب: في ذلك دلالة على أنه سبحانه لم يشأ ذلك لهؤلاء القوم ليظلوا يكابدون العناد، ويعاينون أسباب الهلاك ويعايشونه ليستمر عذابهم، لأن هذه الحواس لو تعطلت لما شعروا بذلك . والله أعلم .

****

قال تعالى :" يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون *الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون *وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم

تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين * وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون"" " البقرة ٢١-٢٥

السؤال ١٩٠: من المقصود من النداء في قوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم..." ؟ البقرة ٢١

- الجواب: ذهب معظم المفسرين إلى أن المنادى هم الفئات الثلاث التي سبق الحديث عنها في السورة وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون، ولكنني أخالف جموع المفسرين، وأرى -والله أعلم وأعوذ به من الزلل- أن المخاطب في الآية هم الكافرون، ولا اندراج للمؤمنين في هذا الخطاب بدليل قوله تعالى -في الآيات بعدها-: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين" (البقرة: ٢٣-٢٤).

فهل يمكن أن يكون هذا الخطاب للمؤمنين وللكافرين؟ وهل كان التحدي بمعارضة القرآن للكفار، أم للمؤمنين؟!

لقد تمحل المفسرون في تأويل المخاطبين في هاتين الآيتين ، وكانوا في منأى عن ذلك لو هدوا إلى أن المنادى في قوله سبحانه : " يا أيها الناس " الكفار . والله أعلم بمراده .

السؤال١٩١: ما سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم..."، حيث كان الحديث قبل هذه الآية عن غائب "هم المنافقون"؟

الجواب: فيه تأنيس لعباده الضالين وفتح لأبواب رحمته لهم إن عادوا إلى رشدهم وآمنوا بالله تعالى إيماناً خالصاً لا نفاق فيه ولا شبهة، وذلك بالإقبال عليهم بعد الإعراض عنهم، إشعاراً بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال لهم متأهلين للخطاب من غير واسطة تنشيطاً لهم في عبادته سبحانه وتوحيده، وترغيباً وتحريكاً إلى السمو بأنفسهم بإقباله سبحانه عليهم، وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضاً عنه بالقبول٦٤. والله أعلم بمراده .

السؤال١٩٤: ما سر كثرة النداء بصيغة "يا أيها" في كتاب الله؟

الجواب: أولاً يجب أن نشير إلى أن هذه الصيغة مكونة من "يا" أداة نداء للبعيد و"أي" وهي اسم مبهم جيء به للتوصل إلى نداء المعرف بـــ"ال"، لاستكراه اجتماع حرفي تعريف. و"أي" تحتاج إلى ما يزيل

---

٦٤ نظم الدرر ١ / ٥٥ بتصرف

إبهامها ويوضحها لأنها كما قلنا اسم مبهم، وبعد "أي" يأتي حرف "ها" وهو للتنبيه ثم يأتي المقصود بالنداء ب"أيها" وصفاً لها.

بعد هذا التفصيل الواجب لهذه الصيغة نجيب عن السؤال فنقول: كثر النداء بهذه الصيغة في القرآن الكريم لما فيها من تكرر الذكر والإيضاح بعد الإبهام المستقر في "أي"، وهذا من أبواب التوكيد وضروبه، وأيضاً دلالة حرف التنبيه "ها" على التوكيد، وبيان ذلك أن حرف النداء فيه إيقاظ للمنادى وإعلام له بأنه المدعو، وحرف التنبيه يقوي ذلك الإيقاظ ويؤكده. إذاً، تستطيع أن تقول بإيجاز: إن إيثار صيغة "يا أيها" في النداء وكثرتها في كتاب الله المجيد سببه ما اشتملت عليه من ضروب التوكيد وهي تكرار الذكر والإيضاح بعد الإبهام، واختيار لفظ البعيد "يا" وتأكيد معناه بحرف التنبيه، وكل تلك المبالغة في التأكيد يقتضيها المقام والسياق معاً، لأن كل ما نادى الله به عباده مما لا شك فيه أنه من الأمور الجسام التي ينبغي لهم أن يستقبلوها بقلوب يقظة، وعقول منتبهة، لذا كان من الملائم أن ينادوا بالآكد الأبلغ وذلك ليستيقظوا من غفلتهم وينتبهوا لما يرد على أسماعهم، ولما نودوا من أجله، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٥: العبادة في الأصل التذلل والخضوع والانقياد والطاعة، وهذا المعنى لا يتناسب مع أمر كفار العرب بعبادته -سبحانه- في قوله: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم"، فالكفار لا يقرون بالله فكيف يعبدونه؟

الجواب: المراد من العبادة في الآية الكريمة الإقرار بالإيمان بالله تعالى وبالتوحيد الخالص عن شائبة الشرك، والإيمان بما جاء به النبي -ﷺ- وتصديقه، والله أعلم بمراده.

السؤال١٩٦: ما سر ذكر "رب" في الآية الكريمة، وإيثار التعريف بالإضافة إلى ضمير المخاطبين "ربكم" على التعريف بالعلمية حيث لم يقل: اعبدوا الله؟

الجواب: لأن في الإتيان بلفظ "رب" إشارة إلى السبب القريب الموجب لعبادته سبحانه، وأحقيته بها وهو التربية والتدبير، (فإن المدبر لأمور الخلق هو جدير بالعبادة، لأن فيها معنى الشكر وإظهار الاحتياج)[٦٥]. والله أعلم بمراده.

---

[٦٥] التحرير والتنوير ١ / ٣٢٦

السؤال١٩٧: كان المشركون يطلقون على أصنامهم التي كانوا يعبدونها أرباباً، فلماذا ذكر القرآن لفظ "رب" هنا؟ ولماذا أفرد؟

الجواب: كان المشركون معتقدين بربوبيتين: ربوبية الله تعالى بدليل قوله سبحانه: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" (لقمان: ٢٥)، وقوله تعالى: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" (الزخرف: ٨٧)، وكانوا كذلك معتقدين بربوبية آلهتهم -أصنامهم-، فذكر هذا الاسم "رب" الذي يشترك فيه -كما يعتقدون- الخالق سبحانه وآلهتهم المزعومة التي كانوا يسمونها أرباباً، ذكره في هذا المقام وإفراده إنما كان -والله أعلم- لتصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ وتوجيهه، وللإشارة إلى أن الذي يستحق هذا الوصف بمعنى المربي والمهيمن والسيد والمدبر بالإفراد والإضافة إلى جميع الناس، إنما هو الله تعالى. وأحسب، والله أعلم، أن في ذكر الوصف بالربوبية وإفراده وإضافته إلى ضمير المشركين تطهيراً لغوياً له عن شائبة الشرك والاشتراك اللفظي المقصود به المنازعة في الألوهية أو الربوبية وكأنه قيل لهم: لا يوجد إلا رب واحد هو خالقكم وهو المستحق وحده للعبادة فاعبدوه. والله أعلم بمراده.

ولو قيل: اعبدوا أربابكم، لدل على طلب عبادة غير الله، وهذا مستحيل، لذا كان إفراد "رب" دعوة إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى وتخصيصه بالعبادة دون سواه، ومن أجل ذلك أيضاً أردف بقوله

سبحانه: "الذي خلقكم" لتعليل العبادة أو الربوبية، ولتخصيص المقصود من لفظ "ربكم" وقصره على الخالق الذي يقرون بربوبيته سبحانه حتى لا يتوهموا أن المقصود أربابهم المزعومة، فكانت تلك الجملة قاطعة لأوهامهم عند إطلاق لفظ "رب"، والله أعلى وأعلم بمراده.

السؤال١٩٨: لماذا خصت نعمة الخلق في قوله تعالى: "الذي خلقكم والذين من قبلكم..." (البقرة: ٢١)؟

الجواب: لأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها من دونها، ولأن الكفار مُقرّون بأن الله سبحانه هو الخالق – كما سبق الإشارة إليه– فامتن عليهم بما يعترفون به ولا ينكرونه..[٦٦] وذكر ذلك حجة عليهم وتقريعاً لهم. والله أعلم بمراده.

السؤال٢٠١: لماذا قيل: "الذي خلقكم والذين من قبلكم"البقرة٢١ ولم يقل: الذي خلق الذين من قبلكم وخلقكم، بناء على أن خلقهم –أي المخاطبين– متأخر زماناً على خلق من سبقوهم في الوجود؟

الجواب: (لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر، ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة، فتنبيههم أولاً على أنفسهم آكد وأهم)، والله أعلم[٦٧].

---

[٦٦] فتح القدير للشوكاني ١ / ٥٠ ، الناشر محفوظ العلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت

[٦٧] روح المعاني ١٨٥/١

السؤال٢٠٢: ما علة ذكر حرف الجر "من" في قوله سبحانه: "الذي خلقكم والذين من قبلكم"، حيث كان من الممكن أن يقال: الذي خلقكم والذين قبلكم؟

الجواب: "من" في الآية للابتداء، وذكرها هنا إشارة إلى أول الموصوفين بالقبلية في الخَلْق، وفيها تذكير للمخاطبين بأن آباءهم الأولين لا بد أن ينتهوا إلى أب أول واحد، فهو مخلوق لله تعالى، والله أعلم بمراده[٦٨].

السؤال٢٠٣: لماذا فصلت جملة: "لعلكم تتقون" عما قبلها؟

الجواب: لأنها تعليل للأمر بالعبادة.

السؤال٢٠٤: "لعل" حرف يستعمل للترجي والإشفاق، وذلك محال على الله تعالى، فما تأويل "لعل" في الآية الكريمة؟

الجواب: للمفسرين في تأويل "لعل" في كلام الله تعالى وجوه منها: أولاً: أنها على بابها أي حقيقتها، والترجي أو التوقع، إنما هو في حيز المخاطبين، وهذا رأي سيبويه. والمعنى: افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع أن تتقوا.

---

[٦٨] التحرير والتنوير ١ / ٣٢٧

ثانياً: أنها للتعليل بمعنى "كي" قاله جماعة من أهل اللغة منهم قطرب وأبوعلي الفارسي، وابن الأنباري، والمعنى في الآية: لتتقوا، ومن شواهده قول الشاعر:

وقلتم لنا كفوا الحـــــروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم كَلَمْع سراب في الملا متألق

المعنى: كفوا الحروب لنكُف، ولو كانت "لعل" هنا شكّاً لم يوثقوا لهم كل موثق.

الثالث: قيل إنها بمعنى التعرض للشيء، كأنه قيل في الآية: افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا أو للتقوى[٦٩] .

السؤال٢٠٥: ما المقصود بالجعل في قوله تعالى: "الذي جعل لكم الأرض فراشاً"؟ (البقرة ٢٢) ولماذا عبّر ب(جعل) هنا، وبـــ (خلق) في الآية السابقة؟

الجواب: المقصود من (جعل) في الآية الكريمة هو تصيير الشيء على حالة دون حالة [٧٠]، فهي دالة على نقل السموات والأرض من حالة إلى حالة حتى صارتا على هيئتهما المرئية التي يراها البشر، يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: "أولم ير الذين كفروا أن السموات الأرض كانتا

[٦٩] راجع هذه الوجوه في الكشاف ٢٢٩/١-٢٣١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٧/١ ، وفتح القدير للشوكاني ٥٠/١

[٧٠] راجع مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة (جعل) صـ٩٢ـ

رتقاً ففتقناهما" (الأنبياء ٣٠) فالسموات والأرض كانتا ملتصقتين بلا فصل رتقاً ففصل الله تعالى بينهما ففتقناهما أي أنهما صارتا على هيئة وحالة غير التي كانتا عليها من الالتصاق . وأوثر (جعل) هنا، و(خلق) فيما تقدم، لاختلاف المقام في الموضعين . والله أعلم .

السؤال٢٠٦: لماذا قدّم ذكر الأرض على السماء في مقام الامتنان في الآية الكريمة؟

– الجواب: لأن حاجتهم إلى الأرض أشد وأعظم، فهي مسكنهم، ومحل استقرارهم، وانتفاعهم بها أكثر، كما أن هذا الترتيب مناسب لما قبله في الآية السابقة حيث إنه سبحانه لما ذكر خلقهم في قوله "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم . ." (البقرة ٢١) ناسب ذلك أن يردفه بذكر أول ما يحتاجون إليه بعد خلقهم وهو المأوى والمستقر .

السؤال٢١١: تحتوي الأرض على جبال وبحار كثيرة لا تصلح للافتراش، أوليس هذا تعارضاً مع قوله سبحانه "الذي جعل لكم الأرض فراشا"؟ البقرة٢٢

– **الجواب:** ما ذكرته مما ليس بفراش هو كذلك حقاً، ولكنه من مصالح ما يفترش من الأرض، لأن الجبال كالأوتاد، كما قال سبحانه وتعالى:"ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً" (النبأ ٦، ٧) والبحار

منافعها كثيرة جداً تعود إلى الناس كما قال تعالى: "والفلكِ التي تجري في البحر بما ينفع الناس" (البقرة ١٦٤) والله أعلم[٧١].

السؤال٢١٢: لماذا قدّم الجار والمجرور على المفعول به في قوله تعالى:"وأنزل من السماء ماء"؟ البقرة٢٢

الجواب: للتشويق إلى المؤخر (الماء)، أو لأن السماء أصله ومنشؤه . والله أعلم .

السؤال٢١٣: تكررت (مِن) في قوله تعالى: "وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم" (البقرة ٢٢) فما معناها في كل موضع في الآية الكريمة؟

الجواب: (من) الأولى يجوز أن تكون ابتدائية على اعتبار أن السماء أصل الماء ومبدؤه، ويجوز أن تكون تبعيضية على تقدير مضاف محذوف والمعنى: من مياه السماء، فالماء الذي ينزل من السماء ليس إلا بعضاً من مياه كثيرة .أما (من) الثانية فهي للتبعيض على غرار قوله تعالى: "فأخرجنا به من كل الثمرات" (الأعراف ٥٧) ويجوز أن تكون بيانية، أي لبيان الرزق المُخْرَج لهم . وهذا التوجيه مناسب لمقام الامتنان . والله أعلم .

---

[٧١] راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٨/١

السؤال٢١٤: لماذا قال تعالى: "وأنزل من السماء ماء" البقرة٢٢ ولم يقل من السحاب أو الغمام، وهي التي يتقاطر منها المطر كما ورد في قوله سبحانه: "ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَد . . ."(النور٤٣) .

فتلك الآية تدل على أن الماء ينزل من السحب المتراكمة التي تكون من الجبال، فما السر في عدم ذكر السحاب أو الغمام في آية البقرة؟

– **الجواب:** لأن السماء وعاء السحاب، ولأن الله سبحانه مَنّ على المخاطبين بأن جعل السماء مظلة الأرض، فناسب أن يذكر السماء مضافة إليها نعمة أخرى، وهي نعمة نزول الماء الذي به يكون الخصب والنماء، كما قال سبحانه: "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" (الأنبياء ٣٠)[٧٢] والله أعلم

السؤال٢١٥: لِمَ أسند سبحانه الإخراج إليه في قوله: "فأخرجنا من كل الثمرات "البقرة٢٢ ولم يقل مثلاً: أخرجت الأرض؟

الجواب: لبيان جلائل نعمته وأنه سبحانه هو خالق الأسباب والمسببات، فالمولود مثلاً لا يولد بالنطفة، ولكن بخلق الله تعالى، وجعل سبحانه النطفة سبب الوجود[٧٣].وللطيفة أخرى ذكرها البقاعي

---

[٧٢] زهرة التفاسير ١٥٣/١ (تراجع) .
[٧٣] زهرة التفاسير ١٥٣/١ .

في قوله: (وإخراج الأشياء في حجاب الأسباب أوفق بالتكليف بالإيمان بالغيب، لأنه كما قيل: لولا الأسباب لما ارتاب المرتاب) [٧٤]. والله أعلم

السؤال٢١٦: ما الغرض من تنكير (ماء) و(رزقاً)؟

الجواب: الغرض إفادة التقليل أو التبعيض، حيث لم ينزل من السماء إلا بعض الماء، إذ كَمْ من ماء هو بعد فيها؟ ولم يجعل الرزق كله في الثمرات، فمنها ما هو للأكل، ومنها ما هو للمداواة، ومنها ما هو سام، كما لم يجعل المخرج كل الرزق بل بعضه .

وقيل: أتى بجمع القلة في الثمر، ونكر الرزق . . لأنهما بالغان في الكثرة إلى حد لا يُحْصى تحقيراً لهما في جنب قدرته (سبحانه) إجلالاً له [٧٥]. والله أعلم

السؤال٢١٧: ما نوع الباء في قوله: "فأخرج به . ."؟

- **الجواب:** للسببية، فالماء سبب لخروج الثمرات، وهذه السببية مجاز، لأن السبب الحقيقي هو الله سبحانه . والله أعلم

السؤال٢١٨: ما وجه دلالة الفاء في قوله تعالى: "فأخرج به . ."؟

---

[٧٤] نظم الدرر ٧٢/١ .
[٧٥] نظم الدرر ٧٢/١ .

– **الجواب:** الفاء تدل على السببية، فإنزال الماء من السماء سبب في الإخراج . وفيها دلالة على سرعة إخراج الثمرات بمجرد نزول الماء تنبيهاً على قدرة الخالق سبحانه . والله أعلم

السؤال ٢٢٠: لماذا جمعت (الثمرات) في الآية الكريمة؟

الجواب: لاختلاف أنواع الثمار .

السؤال ٢٢١: لماذا أتي بجمع القلة في الثمر فقيل (الثمرات) ولم يقل: الثمر والثمار بجمع الكثرة، حيث إن الثمر المخرج بماء السماء كثير؟

– الجواب: هناك ثلاثة توجيهات : الأول: أن جمع القلة إن كان معرفاً ب(أل) التي للعموم فإنها تنقله من الاختصاص لجمع القلة للعموم، فلا فرق بين (الثمرات) والثمار، لأن (أل) ٥٠٦ للاستغراق فيهما [٧٦].

الثاني: أنها الثمرات جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة ك(خطيئات) في قوله تعالى: "وادخلوا الباب سجداً يغفر لكم خطيئاتكم" (الأعراف ١٦١)، وقد يقع أيضاً جمع الكثرة في موضع جمع القلة ك(فتيان) في قوله تعالى: "وقال لفتيانه" (يوسف ٦٢) فالجموع قد يتناوب بعضها مكان بعض ولا يخلو ذلك طبعاً من لطائف بلاغية [٧٧].

---

[٧٦] البحر المحيط ٢٤١/١

[٧٧] راجع الكشاف ٢٣٥/١

الثالث: للتنبيه على قلة ثمار الدنيا، وإشعاراً بتعظيم أمر الآخرة . وهذا هو الراجح عندي لسلامته من التأويل . والله أعلم [٧٨].

السؤال٢٢٣: ما سر العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: "فلا تجعلوا لله أنداداً" البقرة٢٣حيث كان الظاهر أن يقال: فلا تجعلوا له أنداداً ؟

– الجواب: العدول عن الضمير إلى الاسم الجليل إنما كان (لتعيين المعبود بالذات بعد تعيينه بالصفات، وتعليل الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوحدانية، واستحالة الشركة، والإيذان باستتباعها لسائر الصفات) [٧٩].

وفيه أيضاً توبيخ للمخاطبين الذين أشركوا مع الذي له صفات الجلال والكمال سبحانه غيره، واتخاذهم حجارة لا تضر ولا تنفع أنداداً له سبحانه .

السؤال٢٢٦: لِمَ عبّر بالجعل في قوله سبحانه: "فلا تجعلوا لله أنداداً"؟+

– الجواب: لأن المراد بالجعل هنا الحكم بالشيء على الشيء بالباطل فقد حكم المشركون على الأصنام بأنها أنداد لله الخالق سبحانه وحكمهم

---

[٧٨] مفاتيح الغيب ٥٠٦/١

[٧٩] روح المعاني ١٩٠/١

هذا باطل فنهوا عن ذلك .ويمكن أن يكون الجعل هنا بمعنى التصيير، وهو كما يكون بالفعل، يكون بالقول[٨٠].ويمكن أيضاً أن يكون بمعنى الاتخاذ، والتقدير: لا تتخذوا لله أنداداً .

السؤال٢٢٨: لم يكن المشركون يزعمون أن أصنامهم تخالف الله تعالى في أفعاله، أو أنها تماثله سبحانه في ذاته وصفاته ولم يسموها بذلك قولاً، فلِمَ سماها القرآن بذلك على ألسنتهم وهم إنما عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى، ولتكون شفعاء لهم عنده؟

– الجواب: سمى القرآن الكريم أصنامهم أنداداً تعريضاً بهم وتهكماً وتوبيخاً، لأنهم لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة وعبدوها أشبهت حالهم حال مَن يعتقد أنها مماثلة لله تعالى في العبادة، وأنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته، وأن حالهم صار يشبه مَن يعتقد التسوية بينها وبين الخالق سبحانه، لأن العبرة بالفعل لا بالقول، ففي تسمية أصنامهم (أنداداً) تعريض بهم كما قلنا ورمي لهم باضطراب الحال ومناقضة الأقوال للأفعال، حيث كانوا يعتقدون بأن الله سبحانه خالق الكون ومدبره [٨١].وعلى كل فإن في العبارة استعارة تمثيلية كما وضحنا في الشرح . وأختم الجواب هنا بأن في الآية تحذير شديد من الشرك فالله سبحانه لا يقبل أي فعل أو قول إذا كان فيهما شائبة شرك . والله أعلم .

---

[٨٠] روح المعاني ١٩١/١

[٨١] راجع الكشاف ٢٣٧/١ ، روح المعاني ١ / ١٨٩ ، التحرير والتنوير ٣٣٥/١

السؤال ٢٢٩: ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى : " وأنتم تعلمون " فكيف وصفهم بالعلم وقد نعتهم بعدم العلم وعدم الشعور وعدم العقل والطبع والصمم والعمى في مواضع أخرى ؟

الجواب : المراد بالعلم هنا علمهم أنه سبحانه لا يماثله شيء أو أن أصنامهم لا تقدر على فعل ما يفعله . أو المراد بالعلم هنا أنهم أهل معرفة ونظر وإصابة رأي ، وهذا الأسلوب على ما فيه من السخرية والتوبيخ فإن فيه إثارة همة وتحفيزاً وإيقاظاً لعقولهم ولفتاً لبصائرهم إلى دلائل الوحدانية ، وكأنه قيل لهم : كيف تشركون بالله وتتخذون الأصنام آلهة لكم والحال أنكم من أهل الفكر والعلم ، فإذا تدبرتم أدنى تدبر لعلمتهم بوجوب توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته ، وأنه لا يجوز أن يعبد سواه أو أن يشرك في عبادته أحد ، ومن هذا المعنى يستشف إيقاظ هممهم وإثارة فكرهم ، كما أن إثبات العلم فيه توبيخ وتقريع لهم ؛ وكأنه قيل لهم : إن من يتصفون برجاحة العقل والعلم لا ينبغي لهم أبداً أن يضيعوا ملكات فكرهم ومواهب عقولهم ، وسلامة مداركهم باتخاذهم مع الله آلهة أخرى ، وأنه لا يجتمع ذلك مع العلم .
وقد أومأ قوله : " وأنتم تعلمون " إلى أنهم يعلمون أن الله تعالى لا ند له ، ولكنهم تعاموا وتناسوا فقالوا تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك !![٨٢] . والله أعلم .

---

[٨٢] التحرير والتنوير ١ / ٣٣٥

السؤال٢٣١: لم عُبِّر عن ريب المشركين في القرآن الكريم بإن الشرطية التي تدل على عدم تحقق الشرط على الرغم من أن ريبهم كان محققاً وذلك في قوله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا"؟

الجواب: السر في ذلك أنه نُزل الأمر الواقع (ريب المشركين) منزلة غير الواقع، فلم يُنْظَر إليه ولم يُعبأ به، لكونه مما لا ينبغي أن يكون أصلاً لوجود ما يدل على نقضه ونفيه، وذلك بأن يعارضوا هذا القرآن، وبأن يأتوا بسورة من مثله. إذن فمدلول هذا الشرط (قد حفَّ به من الدلائل ما شأنه أن يقلع الشرط من أصله بحيث يكون وقوعه مفروضاً، فيكون الإتيان بـ(إن) مع تحقق المخاطب علم المتكلم بتحقق الشرط توبيخاً على تحقق ذلك الشرط، كأن ريبهم في القرآن مستعف الوقوع) ٨٣.والخلاصة: أن في تصدير الشرط ب(إن) توبيخاً للمخاطبين الكفار ومن على شاكلتهم على الارتياب، وإظهاره أنه مما لا ينبغي أن يثبت إلا على سبيل الفرض لاشتمال المقام على ما ينسفه ويزيله٨٤. والله أعلم بمراده .

السؤال٢٣٤: ما دام التحدي عاماً لكل سامع في كل زمان ومكان، فلِمَ قُصِرَ الخطاب على الكفار ومن على شاكلتهم في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقط فقال: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا . ." ولم يقل مثلاً: "ومن كان في ريب" ليكون لفظ التحدي عاماً ومستقصياً؟

---

٨٣ التحرير والتنوير ٣٣٦/١

٨٤ راجع روح المعاني ١ / ١٩٢

الجواب: من وجوه منها:

أولاً: إن المخاطبين هم الذين أنكروا القرآن، وادعوا أنه كلام البشر فكان التحدي لهم، لذا كانوا الأولى بتوجيه الخطاب لهم .

ثانياً: إنهم كانوا أهل الفصاحة، وأرباب البلاغة، وفرسان البيان فإذا عجزوا عن معارضة القرآن كان عجز من يأتي بعدهم في أي عصر من العصور أشد وأبين، لذا وجه الخطاب لهم دون غيرهم، لأنهم كما قلنا كانوا قمة الفصاحة والبيان . والله أعلم بمراده .

السؤال٢٣٥: لماذا عُبِّر عن اعتقاد الكفار في القرآن الكريم بالريب دون الشك مثلاً في قوله تعالى :" وإن كنتم في ريب " ؟

الجواب: لأن الريب درجة أعلى من الشك، بدليل أن كثيراً من الآيات الكريمة ورد فيها الريب توكيداً للشك، ويظهر هذا باستقراء الآيات التي ورد فيها الريب ولاشك متعاقبين نحو قوله تعالى: "وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب" إبراهيم ٩ وقوله: "وإنهم لفي شك منه مريب" فصلت ٤٥.وقوله: "إنهم كانوا في شك مريب" الشورى١٤. فالحديث في هذه الآيات عن منكري البعث، وعن منكري دعوة الرسل، ووصف شكهم بأنه مريب يدل على شدة ذلك الإنكار وقوة هذا الشك، ومن هنا نستطيع أن نقول، والله أعلم: إن استعمال (الريب) في آية البقرة جاء ملائماً لحال المخاطبين منكري نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورسالته وما جاء به، فالمقام مقام تحدٍ لما بلغوا من عنادهم وكفرهم، وقد سبق أن تحداهم الله تعالى بمعارضته القرآن في آيات

أخرى في سور: الطور والإسراء وهود ويونس ثم في البقرة، والتحدي هنا بلغ مداه، ووصل إلى قمته بسبب تصاعد إنكارهم وشدة عنادهم، أقول: تلك الدرجة في التحدث تلاءمت مع تلك الدرجة في الإنكار، ولذا كان استعمال الريب وإيثاره على الشك مناسباً في هذه الآية . والله أعلم .

السؤال٢٣٦: ما دلالة التنكير في "ريب" ؟

الجواب: التنكير في (ريب) للتقليل، إلماعاً إلى حقيقة دواخل نفوسهم من أن قلوبهم مصدقة، وألسنتهم تخالف معتقداتهم، فجيء بالتنكير كشفاً عن ذلك، والمعنى: إن كان عندكم بعد قوة الحق أدنى ريب فأزيلوه بالإتيان بسورة من مثله . والله أعلم .

السؤال٢٣٨: إلام يوحي التعبير بحرف الوعاء (في) في قوله: "وإن كنتم في ريب . ."؟

– الجواب: يوحي حرف الظرفية أو الوعاء بأن الريب قد امتلك هؤلاء الكفار المشككين، وأنه قد أحاط بهم من كل جانب إحاطة الظرف بالمظروف، وفيه إشارة إلى إغراقهم في الاتصاف بهذا الوصف: الريب، وأشعر بأن للظرفية في هذه الآية الكريمة إيحاء يكشف عنه هذا الحرف (في)، حيث تغلغل في نفسيات المخاطبين، وكشف عن نواياهم وأبان إبانة ساطعة عن عدم قبولهم الاعتراف

بذلك القرآن المعجز، والإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به، فهم يغمسون أنفسهم في الريب حتى ليكاد يواريهم ويشتملهم، وكأنهم لا يريدون لأنفسهم تفلتاً منه ولا انفكاكاً من أسره لينأوا بأنفسهم عن كل وسيلة من وسائل التأثير فيهم، والمحاورة معهم، وليسدوا أمام أنفسهم كل منافذ الإدراك، وفي هذا كشف عن مدى حقدهم، وإبانة لما وصلوا إليه في إنكارهم. بقي القول بأن الظرفية في الآية مجازية، فهي استعارة[٨٥] في الحرف حيث جعل المعنى الذهني (الريب) محلاً للمظروف الكفار، والله أعلم بمراده .

السؤال٢٤٢: ما بلاغة الالتفات في الآية الكريمة حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال: الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء . . وإن كنتم في ريب مما نَزَّل على عبده . . .؟

الجواب: يحسن بنا أولاً أن نبين الالتفات، ففي هذه الآية بالنظر إلى سابقتها التفات من الغائب إلى التكلم لكن عُدِل عن ذلك لغرض أشار إليه الألوسي بقوله: (تفخيماً للمُنَزل أو المُنَزَّل عليه، ولا سيما وقد أتى بـــ (نا) المشعرة بالتعظيم وتفخيم الأمر رعاية لرفعة شأنه عليه الصلاة والسلام) [٨٦].

---

[٨٥] راجع شرح الكافية للرضي ٢ / ٣٠٤ ، والإشارة إلى الإيجاز وبعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام صـ ٢٢ ، طبعة دار الحديث – القاهرة – مصورة عن مطبوعة المكتبة العامرة ١٣١٣ هـ .

[٨٦] روح المعاني ١ / ١٩٣

وألمح في هذا الالتفات أيضاً تثبيتاً للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وطمأنة له في مواجهة صلف الباطل، فهو عبد الله تعالى ترعاه عنايته، وتكلؤه رحمته، وتحفظه قدرته سبحانه، وأنى لعبد سيده رب الأرباب أن يحزن أو يقلق أو يتركه سيده وحده في ساحة المواجهة؟ والله أعلم بمراده

السؤال٢٤٣: ما وجه بلاغة قراءة (على عبادنا)؟

الجواب: قال المفسرون: المراد الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته أو جميع الأنبياء [٨٧].

أما عن بلاغة قراءة الجمع (عبادنا) فتقول:إن وضع الجمع موضع المفرد فيه تعظيم لشأن النبي .. محمد صلى الله عليه وسلم –وأن الإيمان به إيمان بجميع الأنبياء والرسل لكونه خاتمهم، وأفضل خلق الله تعالى. وفي قراءة الجمع كذلك (إيذان بأن الارتياب فيه (ما جاء به الرسول) ارتياب فيما أنزل من قبله، لكونه مصدقاً، ومهيمنا عليه)[٨٨]، وفيها إشارة أيضاً إلى أن من عاداه صلى الله عليه وسلم فكأنما عادى عباد الله جميعاً، لأنه رأسهم وأشرفهم صلى الله عليه وسلم – وبناء على ما سبق فإنني أرجح أن يكون المقصود من الجمع (عبادنا) رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بدليل قراءة المفرد، والله أعلى وأعلم .

---

[٨٧] راجع مثلا الكشاف ١ / ٩٧ ، والبحر المحيط ١/ ٢٤٥ ، وروح المعاني ١ / ١٩٢ ، والفتوحات الإلهية ٢٧/١

[٨٨] إرشاد العقل السليم ١ / ٦٤

السؤال٢٤٤: لماذا أوثر مبنى (فِعَال) في قراءة الجمع (عباد) على (فعيل) فلم يقل (عبيد) والوزنان من مباني الكثرة؟

الجواب: وراء هذا الإيثار لـــ(فِعَال) حس مرهف بجرس اللفظة ودقة اختيارها، بيان هذا أن الانتقال في (عباد) من الكسرة إلى الفتحة ثم إلى الاستطالة بالألف الرامزة إلى الرفعة وانتصاب القامة يشير إلى أن الانتساب إلى الله بعبادته ينقل الإنسان من وَهْدَة الرذيلة والخنوع للند من البشر إلى سمو النفس والوجه في حضرة المعبود، والانتقال في (عبيد) من الفتحة إلى الكسرة فالاستطالة بالياء يوحي بانكسار النفس واستغراقها في الذل، ومهانتها باستعباد الناس لها) [٨٩] . والله أعلى وأعلم

السؤال٢٤٦: لم أوثرت مادة الإتيان على مادة المجيء في قوله "فأتوا"؟

الجواب: لأن الإتيان مجيء فيه سهولة – كما قال الراغب في مفرداته – وهذا المعنى يتناسب مع إرخاء العنان في التحدي للمنكرين [٩٠]. والله أعلى وأعلم .

---

[٨٩] الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د.محمد الأمين الخضري ، صـ ١٧٤

[٩٠] قال الراغب : (الإتيان : مجيء بسهولة ومنه قيل للسير المار على وجهه : أتِيّ وأتاويّ ، و به شبه الغريب ، فقيل : أتاوى . والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير ، ويقال في الخير والشر ، وفي الأعيان والأعراض) المفردات للراغب مادة (أتى) صـ .

السؤال٢٤٨: ما مدلول الباء في قوله سبحانه "فأتوا بسورة"؟ وما مدى تجاوبها مع التحدي بمعارضة القرآن الكريم في الآية؟

الجواب: تجاوبت الباء بدلالتها على الملابسة واللصوق والالتزام مع التحدي في الآية الكريمة، حيث تلمس فيها إرشاداً لهؤلاء الكفار المعاندين بدوام الوقوف أمام القرآن وبمعاودة عرض سوره أمام عقولهم وتفليتها سورة سورة ليختاروا منها بعد عكوف وتأنٍ طويلين ما يستطيعون به معارضة القرآن . وفي هذا تبكيت لهم وتخجيل، حيث إنهم يوجهون إلى الطرق التي يظن أنها تعينهم على المعارضة كما سيأتي أيضاً في قوله تعالى: "وادعوا شهداءكم" والله أعلم .

السؤال٢٤٩: ما سر إثبات (مِن) في قوله سبحانه "فأتوا بسورة من مثله" وسقوطها في قوله تعالى: "أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات . ." (هود ١٣) . وقوله تعالى: "أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله" (يونس ٣٨)؟

الجواب: تعددت آراء المفسرين والبلاغيين في توجيه إثبات (من) في آية البقرة، فذكروا أن (من) في الآية إما أن تكون ابتدائية إن عاد الضمير في (مثله) إلى المُنزل عليه، وإما أن تكون للبيان إن عاد الضمير إلى (المُنَزل)، أو أن تكون زائدة أو تبعيضية[٩١] .

[٩١] راجع البحر المحيط ٢٤٦/١،٢٤٧ ، والفتوحات الإلهية ٢٧،٢٨/١ ، وتفسير البيضاوي ١ / ١١٢، ١١٣

والحقيقة أنني لم أجد في تلك الآراء ما يشبع نهم الباحث، وما يروي ظمأه البلاغي ، وقد كانت لي نظرة أخرى متأنية ربما لم ينتبه إليها أحد من الذين قرأت لهم .

إننا إذا تأملنا آيات التحدي المذكورة في سور الإسراء وهود ويونس، وهي سور مكية، نجد أن التحدي فيها لم يكن مباشرة وإنما كان بواسطة "قل لئن اجتمعت"، "قل فأتوا" فالتحدي فيها بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم، لذا كان التحدي أولاً بمثل القرآن، ثم خفف إلى عشر، ثم خفف إلى سورة واحدة من القرآن الكريم . أما آية البقرة فقد جاء التحدي فيها مباشرة من الله تعالى لهؤلاء المعاندين، فقد أسقطت الواسطة (قل) في قوله: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله" حيث لم يقل: "قل فأتوا"، فالتحدي هنا مباشر من الله تعالى، وهذا ناسبه الترقي في التحدي الذي وصل إلى غايته في آية البقرة؟ لذا أثبتت (من) لتدل على التبعيض، والمعنى: فأتوا ببعض سورة من مثله . وهذا هو الفرق في المعنى بين هذه الآية وآية يونس، لأن المراد هناك: "فأتوا بسورة من مثله"ولكن في البقرة وصل الترقي في التحدي إلى قمته، لذا أثبتت (من) فيها، لترخي عنان التحدي وليصل التساهل إلي قمته وكل هذا تناسب وجلال الخالق سبحانه، لأنه المتحدي المباشر في هذه الآية الكريمة .

ولتنظر في تكرار نون العظمة في قوله تعالى: "نزلنا على عبدنا" وما تضيفه من الهيبة والعظمة ناسبها أن تكون آية البقرة آخر آيات التحدي نزولاً لتبقى إلى أن تقوم الساعة تقرع آذان كل متحدٍ أو معارض، وتزلزل كيان كل مرتاب، ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ .

ولعل مما يساعد على إدراك قوة هذا التحدي وغايته ما أتبعت به آية التحدي في البقرة من قوله تعالى: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا . ." فهذا نفي وتأكيد لعدم القدرة على المعارضة حالاً ومآلاً . وهذا التحدي المزلزل كما قلنا مباشر من الله تعالى من دون واسطة . ولعلك تلحظ أن نبرة التحدي تهدأ قليلاً في سورتي يونس وهود كما في قوله "وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين" لأن التحدي بالمعارضة لم يكن مباشراً كما في البقرة، ولكن جاء بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم، لذا كان أقل حدة وأهدأ نبرة . والله أعلى وأعلم .

السؤال ٢٥٠: ما وجه ارتباط آيات التحدي في البقرة ويونس وهود والإسراء بمطالع سورها؟

الجواب: في "البقرة" جاءت آية التحدي بعد بيان قاهر "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا" تناسباً مع المطلع "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" وبياناً لكمال الكتاب ونفياً لكل ريب يخدش هذا الكمال[٩٢]

[٩٢] راجع علاقة المقاصد بالمطالع في القرآن الكريم ص ٦٨ د. ابراهيم صلاح الهدهد رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية اللغة العربية بالقاهرة .

وأضيف وجهاً آخر من وجوه الترابط بين آية التحدي في سورة البقرة ومطلع السورة ألا وهو أن سورة البقرة هي الوحيدة التي كان التحدي فيها مباشرة من دون واسطة (قل) كما سبق بيانه، وهذا يتناسب وبداية مطلع السورة الذي لم يرد فيه ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم، ولنقرأ بداية مطلع السورة: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" (البقرة ٢) .

أما في سور يونس وهود والإسراء فإننا نلحظ أن مطالعها فيها إشارة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا من وجوه ارتباطها بآيات التحدي للمشركين، حيث جاء التحدي بواسطة (قل) . وبيان ذلك بالتفصيل: أن سورة يونس افتتحت بقوله تعالى: "الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم . ." (يونس ٢)، فهنا ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم، "رجل منهم"، وفي قوله: "قل فأتوا" جاء التحدي بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن قوله في آية التحدي في سورة يونس "أم يقولون افتراه"مناسب لقوله سبحانه: "قال الكافرون إن هذا لساحر مبين" . والترابط واضح بين السحر والافتراء فكلاهما كذب وتدليس واختلاق . وهناك وجه آخر يربط الآية بمطلع

السورة ومقصودها حيث إن سورة (يونس) من أكثر السور (إثباتاً للوحي وللرسالة وتحدياً بالقرآن وبياناً لإعجازه)[٩٣] .

وقوله في صدر السورة "أوحينا إلى رجل منهم" يشير إلى أمرين هما: (صدق الوحي لأنه من الله، وصدق الرسول الذي جاء به . وهذان الأمران هما متعلق الإنكار ومثار العجب)[٩٤] .

وقد كانت شبهاتهم في آية التحدي في (يونس) أنه صلى الله عليه وسلم افتراه، وقوله تعالى: "أوحينا إلى رجل منهم" رد على شبهتهم تلك، أما مطلع آية (هود): "الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير" (هود١ ــ٢) . فدلالة المطلع مشيرة إلى الكتاب المتحدى به، ومشيرة إلى صدقه صلى الله عليه وسلم، وفي هذا ارتباط وثيق بقوله في آية التحدي "أم يقولون افتراه" . وهذا قبس من قوله: "فإنني لكم منه نذير وبشير" حيث فيه رد عليهم في صدر المطلع . وهذا دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به .

وقوله في آية التحدي: "وادعوا من استطعتم من دون الله . ." ناظر إلى ما ذُيلت به الآية الأولى"حكيم خبير" فأنى لمخلوق أن يأتي بما أتى به الحكيم سبحانه في أفعاله، الخبير بكيفيات الأمور؟!

---

[٩٣] تفسير المنار لمحمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى ١٩٧٣ م .

[٩٤] علاقة المقاصد بالمطالع د . إبراهيم الهدهد ص ١١٤

أما آية التحدي في الإسراء، فلأن التحدي فيها وقع بواسطة (قل) كما في هود ويونس فإننا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم مذكوراً بصفة العبودية في صدر السورة "سبحان الذي أسرى بعبده" .

وقوله في آية التحدي: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" ناظر قوله تعالى في صدر السورة "سبحان" فهذا العجز المطبق من الإنس والجن مع اجتماعهم للإتيان بمثل القرآن تقابله القدرة المطلقة والتنزيه الكامل عن كل نقص في حق الخالق جل جلاله .

وأخيراً فمن المفيد الإشارة إلى أن مطالع سور (البقرة و يونس و هود) بدأت بالحروف المقطعة الدالة على التحدي كما ذهب إلى ذلك أغلب المفسرين . وتلك علاقة وثيقة بين آيات التحدي ومطالع سورها . والله أعلى وأعلم .

السؤال٢٥٣: كيف ذكر الشهداء هنا، وإنما يكون الشهداء ليشهدوا أمراً أو ليخبروا بأمر شهدوه، وقد قيل لهم: "فأتوا بسورة من مثله" وهم لم يأتوا بشيء ليشهد عليه الشهداء؟

الجواب: المعنى في الآية كما قال مجاهد: استعينوا بمن وجدتموه من علمائكم وأحضروه ليشاهدوا ما تأتون به فيكون الرد على الجميع أوكد في الحجة عليهم . والله أعلم[٩٥] .

السؤال٢٥٤: ما معنى (دون)؟ وما فائدة ذكر قوله: "من دون الله" إذ كان من الممكن أن يقال: وادعوا شهداءكم إن كنتم صادقين؟

الجواب: معنى (دون) أدنى مكان من الشيء، و(دون) نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية . والدون: الحقير الخسيس كما قال الشاعر:

إذا ما علا المرء رام العلاء ويقنع بالدون من كان دُونا

ثم استعير للتفاوت في المنازل المعنوية تشبيهاً بالمراتب الحسية، كقولنا: هو دون فلان شرفاً . والمعنى المراد منه في الآية: من غير الله . وفي التعبير بقوله "من دون الله" توبيخ للكفار، لأنهم لم يرضوا بشهادة رب الأرباب ورضوا بشهادة العاجز الضعيف المحتاج ولجأوا إليه واستعانوا به . وفي قوله "وادعوا شهداءكم من دون الله . ." إدماج

[٩٥] انظر السؤال وجوابه في الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٣٢، ٢٣٣

حسن؛ حيث أدمج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة . وهذا الإدماج من أفانين البلاغة . والله أعلم[٩٦]

السؤال٢٥٦: لِمَ أوثر استخدام أداة الشرط (إن) على (إذا) في قوله تعالى: "إن كنتم صادقين"؟

الجواب: (إذا) أداة شرط غير جازمة تدل على تحقق وقوع الشرط، بخلاف (إن) التي تدل على الشك في تحقق الشرط، وفي إيثار (إن) الشرطية في الآية تعريض بكذبهم، لأن صدقهم غير محتمل الوقوع، وفي هذا التعريض إلهاب لحماسهم لتتوفر دواعيهم في معارضة القرآن . والمعنى: إن كنتم صادقين في معارضة القرآن، لقولهم في آية أخرى: "لو نشاء لقنا مثل هذا" .أو: إن كنتم صادقين في زعمكم في أنه كلام البشر .

السؤال٢٥٧: ما الغرض من الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: "وادعو شهداءكم من دون الله "البقرة٢٣ حيث كان الظاهر أن يقال: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دوني"؟

الجواب: الالتفات بذكر اسم الجلالة الأعظم لزيادة تبكيتهم وتوبيخهم لكفرهم بما أنزله الخالق الأعظم على رسوله صلى الله عليه وسلم،

---

[٩٦] راجع التحرير والتنوير ١ / ٣٣٩

ولتربية المهابة وإدخال الفزع في قلوبهم . أو للإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة مَن له الألوهية الجامعة الكاملة عبادة من لا أحقر منه ولا أخس إذ إنه لا يضر ولا ينفع ولا ينصر ولا يشفع . والله أعلم بمراده ٩٧.

السؤال ٢٥٨: ما سر تصدير جملة الشرط بـــ (إن) التي للشك في قوله تعالى : " فإن لم تفعلوا ..." البقرة ٢٤ مع أن عدم إتيانهم بسورة يعارضون بها القرآن مقطوع به بدليل مقام التحدي والتعجيز ؛ لذا كان المقام ل (إذا) التي تقطع بوجوب الشرط . فما تفسير العدول عن (إذا) إلى (إن) ؟

الجواب : لأن الكلام سيق معهم على حسب ظنهم وطمعهم فقد كانوا واثقين من فصاحتهم متكلين عليها ، مقتدرين على أفانين الكلام ، ممسكين بزمام البيان فكان عجزهم بالقياس إلى ظاهر حالهم كالمشكوك فيه لديهم ، وفي ذلك إيحاء إلى أنهم لو تأملوا لم يشكوا في القرآن بل قطعوا بالإيمان به ٩٨.

ويمكن أن يكون القصد إظهار هذا الشرط في صورة النادر مبالغة في توفير دواعيهم على المعارضة بطريق الملانية والتحريض ،

---

٩٧ راجع روح المعاني ١ / ١٩٦
٩٨ انظر حاشية السيد على الكشاف ١ / ٢٤٧

واستقصاء لهم في إمكانها [٩٩].ويمكن تعليل ذلك أيضا بأنه من باب السخرية والتندر والتهكم بهم ، كما تقول الموصوف بالفتوة والقوة والمصارعة الواثق من نفسه على من يغالبه : إن غلبتك ، وهو يعلم أنه غالبه تهكما به . والله أعلم بمراده .

السؤال ٢٦٠: ما موقع جملة "ولن تفعلوا"؟ وما وجه بلاغتها؟

الجواب: جملة اعتراضية، ووجه بلاغتها: المسارعة إلى بيان عجزهم المطلق عن معارضة القرآن . والله أعلم بمراده .

السؤال ٢٦١: ما وجه الجمع بين (لن) و(لم) وبين مقتضاهما (الاستقبال والمضي) تناف، وذلك في قوله تعالى: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا . ."البقرة ٢٤؟

الجواب: لأن المراد تأكيد عجزهم عن معارضة القرآن في الماضي وفي المستقبل، أو قل: استمرار عدم إتيانهم بسورة المحقق في الماضي . والله أعلم بمراده .

السؤال ٢٦٢: (لا) و(لن) يشتركان في الدلالة على نفي المستقبل فلم قال: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا" ولم يقل: ولا تفعلوا؟

الجواب: لأن في (لن) توكيداً وتشديداً في نفي المستقبل لا يوجدان في أختها (لا)، تقول لصاحبك: لا أزورك غداً، فإن أنكر عليك، قلت: لن أزورك غداً .

---

[٩٩] التحرير والتنوير ١ / ٣٤٢

وهذا التوكيد والتشديد في نفي معارضتهم في المستقبل أدخل في باب التحدي والتعجيز، وآكد في استمرار عجزهم عن الإتيان بمثل أقل سورة من القرآن . وفيه كذلك تأكيد على أمر غيبي لا يعلمه إلا الله وهو أنهم لن يعارضوا القرآن، وتلك معجزة قاهرة ، ولذا أوثرت (لن) لمناسبتها لمقام التعجيز . والله أعلم بمراده .

السؤال ٢٦٤: قلتم إن قوله تعالى: "ولن تفعلوا" من المعجزات الباهرة، حيث أخبر سبحانه عن أمر غيبي وهو استمرار عدم معارضة القرآن . فماذا تقول في ما أتى به مسيلمة الكذاب من معارضة للقرآن؟

الجواب: ما أتى به مسيلمة الكذاب لم يقصد به المعارضة وإنما ادعاه وحياً . والله أعلم [١٠٠].

السؤال ٢٦٥: ما معنى اشتراطه – سبحانه – في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثل القرآن، وذلك في قوله: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار"البقرة ٢٤؟

الجواب: لأنه إذا ظهر عجزهم عن المعارضة انجلى أمامهم صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار، فاتقاء النار يوجب ترك العناد [١٠١]. والله أعلم .

---

[١٠٠] روح المعاني ١ / ١٩٨

[١٠١] انظر الكشاف ١ / ٢٤٩ ، ومفاتيح الغيب ١ / ٥١٩

السؤال٢٦٧: لماذا جاءت (النار) معرفة في آية البقرة في قوله: "فاتقوا النار" البقرة ٢٤وجاءت نكرة في آية التحريم: "يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة" (التحريم ٦)؟

الجواب: لأن الخطاب في آية البقرة للكفار والمنافقين، وهم في قاع النار المحيطة بهم فعرف بلام الاستغراق أو العهد الذهني . والخطاب في آية التحريم للمؤمنين، والذي يُعذب بالنار من عصاتهم يكون في جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها . والله أعلم [١٠٢].

السؤال٢٦٨: ما وجه الجمع بين الناس الحجارة في قوله: "فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين"؟البقرة٢٤

الجواب: لأن الخطاب مع الكفار ومن على شاكلتهم الذين يتحداهم ربهم بمعارضة القرآن فيعجزون ثم يصرون على الكفر ولا يستجيبون، فهم إذن حجارة في صورة آدمية، فهذا الجمع بين الحجارة والحجارة من الناس هو الأمر المنتظر . وفي ذكر الحجارة هنا إيحاء إلى النفس بسمة أخرى في المشهد المفزع: مشهد النار التي تأكل الأحجار، ومشهد الناس الذين تزحمهم هذه الأحجار في النار [١٠٣] .

ثم لأن هؤلاء الكفار قد ارتبطوا بها في الدنيا، فنحتوها وعبدوها واتخذوها أنداداً من دون الله، كما قال تعالى: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جنهم . ." (الأنبياء ٩٨) فهذه الآية مفسرة لآية البقرة، فقوله: "إنكم وما تعبدون من دون الله" يشير إلى قوله: "الناس والحجار" وقوله "حصب جنهم" يشير إلى قوله "وقودها" . المهم أنه لما اعتقد الكفار في حجارتهم المنحوتة المعبودة من دون الله تعالى النفع والضرر والشفاعة

---

١٠٢ انظر مسائل الرازي وأجوبتها ١٣

١٠٣ في ظلال القرآن ١/ ، بتصرف يسير

. . جعلها الله عذابهم، فجمعهم معها محماة في نار جهنم إمعاناً في إيلامهم وإغراقاً في تحيرهم [١٠٤].

وفي ذلك أيضاً تحقير لتلك الأحجار، وزيادة إظهار ضلال عبدتها في ما عبدوا، وتكرر لحسرتهم على إهانتها، وحسرتهم أيضاً على أن ما كان يعدونه سبباً لعزهم وفخرهم استحال سبباً لعذابهم، وما أعدوه لنجاتهم صار سبباً لعذابهم، وذلك تصديقاً لقوله تعالى: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون" (الأنبياء ٩٨) .

وفي ذكر الناس والحجارة مقترنين أيضاً ترهيب من النار وتعظيم لشأنها، وتنبيه على شدة وقودها لترتدع النفوس وتنزجر وليقع الترهيب موقعه، وليحصل بهذا الاقتران التخويف والزجر، حيث تكون الحجارة والناس وقوداً للنار، فذكر ذلك تعظيماً للنار[١٠٥] . والله أعلم .

السؤال ٢٧٠: لماذا قدم ذكر الناس على الحجارة في الآية؟

الجواب: لأنهم الذين يدركون الآلام، أو لكونهم أكثر إيقاداً من الجماد لما فيهم من الجلود واللحوم والشحوم ،ولأن في ذلك مزيد ترهيب وتخويف لهم، والله أعلم [١٠٦].

السؤال ٢٧١: ما سر حذف الفاعل في قوله "أعدت للكافرين"؟

الجواب: معنى (أُعدت): هُيئت، والتقدير: أعدها الله للكافرين، وفي بناء الفعل للمفعول - المجهول - تركيز على الحدث - إعداد جهنم - لا المُحْدِث - إذ كان الفاعل - سبحانه - معلوماً من السياق والمقام - وبذلك تنخلع القلوب، وتنزجر النفوس عندما تسمع هذا الوعيد، وكأن النار هيئت وأُعِدت من تلقاء نفسها . وكذلك حذف الفاعل في موقف البعث

---

[١٠٤] الكشاف ١ / ٢٥٢ بتصرف يسير
[١٠٥] روح المعاني ١ / ١٩٩ ، بتصرف يسير
[١٠٦] روح المعاني ١ / ١٩٩

والقيامة للسبب الذي ذكرناه كما في قوله تعالى: "فإذا نُفِخَ في الصور نفخة واحدة وحُملت الأرض والجبال فِدُكّتا دكة واحدة" (الحاقة ١٣-١٤) . والله أعلم

السؤال٢٧٣: ما سر التعبير باسم الفاعل (الكافرين) وإيثاره على الجملة (الذين كفروا)؟

الجواب: للدلالة على رسخوهم في الكفر، وثباتهم عليه . والله أعلم .

السؤال٢٧٤: ما سر العدول عن المضمر إلى الظاهر في قوله سبحانه "أعدت للكافرين" حيث كان مقتضى الظاهر أن يقال: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار . . أعدت لكم؟

الجواب: للتصريح بعلة الحكم - كفرهم - وكون إعداد النار لهم إنما كان سببه كفرهم وعنادهم .

وللطيفة أخرى هي عدم مواجهتهم بمصيرهم صراحة، وكأن تلك النار أعدت لغير المخاطبين تنفيراً لهم عنها، وحثاً لهم على تجنبها بالإيمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به، وبوحدانية الخالق سبحانه . والله أعلم .

السؤال٢٧٥: لِمَ عبّر عن المستقبل بالماضي (أعدت)؟

الجواب: لتأكد تحققه - المستقبل - وكأنه وقع حين أخبر عنه، على غرار قوله تعالى: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه" (النحل ١)، وقوله سبحانه: "ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون" (يس ٥١) . والله أعلم .

السؤال٢٧٦: ما وجه ارتباط قوله تعالى: "وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . ." (البقرة ٢٥) بما قبله؟

الجواب: الآية السابقة فيها ترهيب، والآية هنا تشتمل على ترغيب، وتلك عادة القرآن من إرادف الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد والإنذار بالتبشير أو عكس ذلك، مجاراة لاختلاف طباع الناس في انتفاعهم بالأسلوب الذي يلائمهم مما ذكر من الترغيب أو الترهيب . . إلخ، ففي ذلك تحفيز للمؤمنين على طاعة الله سبحانه، وتثبيط للكافرين عن عصيانه - سبحانه . . والله أعلم .

السؤال٢٧٧: علام عطف قوله تعالى: "وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات"؟ بما قبله؟

الجواب: فيه قولان:

أولهما: إنه معطوف على قوله "وإن كنتم في ريب مما نزلنا . ." إلى قوله "أعدت للكافرين" .

ثانيهما: إنه معطوف على قوله: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا" . والله أعلم

السؤال٢٧٨: كيف ساغ عطف الإنشاء "وبشر . ." على الخبر قبله؟

الجواب: جاز العطف في هذا الموضع، لأن المنظور إليه هو التناسب بين الغرضين أو الطرفين من دون نظر إلى جزئيات أو مكونات هذين الغرضين أو الطرفين، فالنظر إلى الإطار العام الذي يجمعهما، وهو عطف قصة على قصة أو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين، فقد عطف مجموع جمل متعددة مسوقة لوصف ثواب الموحدين المؤمنين، على مجموع جمل متعددة سابقة مسوقة لوصف عقاب الكافرين المعاندين، وهذا ما يسمى بالتناسب بين

القصتين، فليس هو عطفاً لجملة معينة في هذه القصة على جملة معينة في قصة عقاب الكفار، حتى يشترط التناسب بين الجملتين في الخبرية والإنشائية، لذا جاز عطف الإنشاء على الخبر في هذا الموضوع وأشباهه . والله أعلم [١٠٧].

السؤال ٢٧٩: ما سر تعريف المسند إليه باسم الموصول في قوله تعالى: "وبشر الذين آمنوا وعملوا . . ."؟

الجواب: ليأتي تعليل الحكم للمؤمنين بالجزاء المذكور من خلال جملة الصلة، فالإيمان والعمل الصالح هما السبب في البشارة، أو هما السبب في الجزاء بأن تكون لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . . إلى آخر ما ذكر في الآية . والله أعلم بمراده.

السؤال ٢٨٠: التبشير هو الإخبار بالأمر المحبوب كما في قوله "وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصلحات . ." فما تأويل البشارة في قوله تعالى: "فبشّرهم بعذاب أليم" (آل عمران ٢١)؟

الجواب: البشارة في الآية من باب التهكم والاستهزاء، حيث استعملت الألفاظ الدالة على المدح في نقضيه من الذم والإهانة فالبشارة تستعمل في الأمور المحمودة، والمراد هنا العذاب والويل والشر، وهذا يطلق عليه في البلاغة الاستعارة التلميحية أو التهكمية أو العنادية ، ومن شواهدها أيضاً في القرآن الكريم قوله تعالى: "فأثابكم غماً بغم" (آل عمران ١٥٣) والإثابة في الآية بمعنى (العقاب) . ومنها قوله تعالى:

---

[١٠٧] راجع الكشاف وحاشية السيد عليه ١ / ٢٥٣ ، والتحرير والتنوير ١ / ٣٥٠ ، ومالك العطف بين الإنشاء والخبر صـ ١٦،١٧ ، د. محمود توفيق سعد مطبعة السعادة ط١ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .

"فاهدوهم إلى صراط الجحيم" (الصافات ٢٣)، وقوله سبحانه: "ذق إنك أنت العزيز الكريم" (الدخان ٤٩) .

تأمل أن المخاطب بهذه الآية (إنما هو في النار الذليل المهان، لكنه خوطب بما كان يخاطب به في الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبكيت له والإذكار بسوء أفعاله) . والله أعلم [١٠٨].

السؤال٢٨٣: لماذا قدم الإيمان على الأعمال الصالحات في قوله تعالى: " الذين آمنوا وعملوا الصالحات" البقرة ٢٥ ، ولم يقل: الذين عملوا الصالحات وآمنوا . . ؟

الجواب: لأن الإيمان شرط لقبول الأعمال، فأي عمل صالح من دون إيمان لا ينفع صاحبه يوم القيامة . والله أعلم .

السؤال٢٨٤: ما سبب مجيء التعبير عن المؤمنين بالموصول وصلته الجملة الفعلية "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" البقرة ٢٥ بعد إيراد الكفار بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى"أعدت للكافرين"؟البقرة٢٤

الجواب: السر في العدول عن الاسمية (المؤمنون) إلى الوصول ومجيء صلته جملة فعلية (آمنوا) هو الدلالة على أن مستحق التبشير بفضل من الله وقع منه الإيمان وتحقق به وبالأعمال الصالحة . والله

---

[١٠٨] المحتسب لابن جني ١٠١/١

أعلم [١٠٩].

السؤال٢٨٧: لماذا قدّم الجار والمجرور الخبر (لهم) على الاسم (جنات)؟

الجواب: للمسارعة إلى تبشير المؤمنين، ولاختصاصهم بها . والله أعلم

السؤال٢٨٨: ما سر تنكير (جنات) في قوله تعالى:" جنات تجري من تحتها الأنهار"؟ البقرة٢٥

الجواب: التنكير إما للتعظيم لعظم ما فيها، إذ فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وإما أن يكون التنكير للتنويع باعتبار تنوع ألوان النعيم في الجنة، جعلنا الله من أهلها . والله أعلم .

السؤال٢٨٩: كيف أسند جري المياه إلى الأنهار في قوله تعالى:" جنات تجري من تحتها الأنهار"؟ البقرة٢٥، والماء يجري وحده؟

الجواب: جاء على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المكانية كما يقال: سار بهم الطريق، وسيل جار . فالناظر إلى الماء وهو يجري في الأرض لا يرى النهر ولكن يرى الماء، فكأن النهر اختفى في الماء ولا يرى غير الماء . وهذا وجه بلاغة المجاز . والله أعلم .

---

١٠٩ البحر المحيط ١/ ٢٥٥

السؤال ٢٩١: لماذا يشفع ذكر الجنة بذكر الأنهار غالباً في القرآن الكريم؟

الجواب: لأن الماء من أعظم النعم، كما أن الجنان لا تأخذ الألباب، ولا تأسر العيون، ولا تبعث على الأريحية والسرور حتى يجري الماء فيها، فهو بالنسبة لها كالروح في الجسد، والدليل على هذا أن الله تعالى يتبع ذكر الجنات بذكر الأنهار من تحتها في معظم الآيات الكريمة التي فيها ذكر للجنات – مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه، وبدليل تقديم جري الأنهار على سائر أوصافها [١١٠].

وقد ورد قوله تعالى: "تجري من تحتها الأنهار" في أربعة وثلاثين موضعاً في القرآن، وفي ثلاث وعشرين سورة، وفي موضع واحد: "تجري تحتها الأنهار" (التوبة ١٠٠) فيكون بذلك ورد ذكر الأنهار بعد (الجنة) مفردة أو جمعاً في خمسة وثلاثين موضعاً، وهذا دليل على ما سبقت الإشارة إليه من علة إرداف ذكر الجنة بالأنهار . وهنا في آية البقرة لم يبين أنواع هذه الأنهار، ولكنه سبحانه بَين ذلك في موضع آخر في قوله تعالى: "فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين" (محمد ١٥) . والله أعلم .

---

[١١٠] الكشاف ١ / ٢٥٨ بتصرف يسير

السؤال٢٩٣: علام يعود الضمير في قوله تعالى: "من تحتها"؟

الجواب: إلى الجنات باعتبار مكوناتها من الأشجار والأرض النابتة فيها، أو إلى الجنات باعتبار الأشجار، لأنها أهم ما في الجنات . والله أعلم .

السؤال٢٩٤: ما فائدة ذكر هذا القيد "من تحتها"؟

الجواب: هذا القيد قصد منه تصوير حال الأنهار لزيادة تحسين وصف الجنات ترغيباً للسامع والله أعلم [١١١]

السؤال٢٩٥: ما موقع جملة "كلما رزقوا منها من ثمرة . ." البقرة ٢٥بالنسبة لما قبلها؟

الجواب: يمكن أن تكون صفة ثابتة لـــ(جنات)، وسر تأخرها عن الأولى أن جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها، وهذا الوصف باعتبار سكانها .

ويمكن أن تكون خبراً عن مبتدأ محذوف تقديره (هم) عائد على "الذين آمنوا" فتكون جملة ابتدائية ، الغرض منها بيان شأن آخر من شؤون المؤمنين [١١٢]، أو تكون جملة استئنافية، وكأن سائلاً قد سأل: ما حالهم في تلك الجنات؟ أو ثمارها؟ فأجيب: "كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً

---

[١١١] انظر التحرير والتنوير ١ / ٣٥٤ ، ٣٥٥

[١١٢] انظر التحرير والتنوير ١ /٣٥٤

قالوا . . .."، لذا فصلت عما قبلها لشبه كمال الاتصال كما يفصل السؤال عن الجواب . وفائدة حذف المبتدأ هنا : (تحقيق التناسب بين الجمل الثلاثة صور لاسميتها) [١١٣] والله أعلم

السؤال٢٩٧: ما نوع (من) في قوله تعالى: "كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً"؟ البقرة ٢٥

الجواب: (من) الأولى والثانية لابتداء الغاية، لأن الرزق قد ابتدأ من الجنات، والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة، إلا أن (من) الأولى متعلقة بالرزق مطلقاً، والثانية بالرزق مقيداً بكونه من الجنات [١١٤]. وليس المراد بالثمرة الحبة الواحدة بناء على هذا التفسير ، وإنما بمنزلة قوله: أعطاني محمد، فيقال من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقال: من أي ثمرة؟ فتقول: من التفاح . والله أعلم

السؤال٢٩٩: ما سر توكيد الفعل (رزقوا) بالمصدر (رزقاً) في قوله سبحانه: "كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل . ."؟ البقرة ٢٥

الجواب: للدلالة على أن هذه الثمرات تجيء إليهم رزقاً من الله تعالى بإنعامه وإحسانه من غير أن يبذل أهل الجنة جهداً، ولا أن يقوموا بعمل لمجيئها إليهم، فالجنة دار الجزاء والثواب والنعيم، فإذا كانوا لم

---

[١١٣] روح المعاني ١/ ٢٠٢
[١١٤] الكشاف وحاشية السيد علي الكشاف ١/٢٥٩-٢٦١

يعملوا في الجنات فهو جزاء لمجهود سابق، وثمرة لإيمان وعمل صالح . والله أعلم[١١٥]

السؤال٣٠٠: يقول أهل الجنة: "هذا الذي رزقنا من قبل" البقرة ٢٥، فكيف يصح أن تكون الثمار التي يرزقونها في الجنة هي التي رزقوا بها من الدنيا من قبل؟

الجواب: مقصدهم أن الذي يرزقون به في الجنة من الثمار يشبه الذي رزقوا به في الدنيا، بدليل قوله سبحانه: "وأتوا به متشابهاً" ولذلك إذا اشتدت مشابهة الابن بالأب قالوا إنه الأب، يعني لشدة استحكام الشبه بينهما كأن ذات الابن ذات الأب . فالتشابه بين ثمار الدارين شديد في اللون والشكل، ولكنه مختلف في الطعم . والله أعلم .

السؤال٣٠٢: لِمَ وَحد الضمير في قوله (به)؟

الجواب: لاستحكام الشبه في الشكل واللون بين ثمار الدارين، وكأن الثمر واحد . والله أعلم .

---

[١١٥] زهرة التفاسير ١ /

السؤال٣٠٤: في قوله تعالى "وأتوا به متشابهاً" دلالة على أن ثمار الدارين تشبه بعضها بعضاً في المنظر وتختلف في الطعم ، فما العلة في تشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة؟ ولماذا لم يكن ثمر الجنة أجناساً مختلفة؟

الجواب: لأن نفس الإنسان تميل إلى المألوف وتأنس به، فإذا رأى الإنسان ما لم يعتده ويألفه نفر منه طبعه وعافته نفسه، ولأنه إذا ظفر بشيء معهود من جنس ما سبق له معرفته زاد ابتهاجه واغتباطه وخصوصاً إن رأى فيه مزية ظاهرة، وفضيلة بينة، وتفاوتاً عظيماً بينه وبين ما عهد من قبل فيطول استعجابه واستغرابه [١١٦]. والله أعلم .

السؤال٣٠٥: في قوله تعالى: "ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون" البقرة ٢٥، ما سر إيراد هاتين الصفتين بالجملة الاسمية، وإيراد ما سبقهما بالجملة الفعلية في قوله تعالى:" وأتوا به متشابها" ؟

الجواب: أورد الصفتين السابقتين بالجملة الفعلية لإفادة تجدد الحدث، وبالجملة الاسمية في هاتين الصفتين لإفادة الثبوت والدوام، وكلا الغرضين يناسب ما ذكر معه من الصفات والله أعلم

السؤال٣٠٦: لماذا قال سبحانه:"ولهم فيها أزواج مطهرة" البقرة ٢٥، ولم يقل: وفيها لهم أزواج مطهرة؟

---

[١١٦] الكشاف ١/ ٢٦١ بتصرف يسير

الجواب: لإرادة التخصيص، وللمسارعة إلى تأنيسهم بالأزواج ليجمع لهم نعمة الأنس بالأزواج بعد نعمة الطعام ، والله أعلم .

السؤال ٣٠٩: لم قال : " أزواج مطهرة " ولم يقل : أزواج طاهرة ؟

الجواب : في (مطهرة) تفخيم لصفة الطهارة فيهن ليست في طاهرة ، وهي الإشعار بأن مطهراً طهرهن ، هو الله عز وجل [١١٧]. والله أعلم

****

[١١٧] الكشاف ١ / ٢٥٦